سوريتنا | السنة الثانية | العدد (70) | 20 / 1 /2013
أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى
عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

لوحة الغلاف بعنوان: درب الآلام
للفنان وسيم الجزائري

صفحتنا على فيس بوك: souriatna.wordpress.com souriatna@gmail.com www.facebook.com/souriatna

تزايد استخدام القنابل العنقودية من قبل النظام

أنواع جديد من الأسلحة صنعت في مصر!

قنبلة عنقودية مصرية في سوريا

وثقت منظمات حقوقية دولية استخدام النظام السوري أنواع جديدة من القنابل العنقودية، في الوقت الذي رصدت فيه هذه المنظمات قيام قوات بشار الأسد باستخدام القنابل العنقودية بشكل متزايد حيث يتم أحيانا إطلاق رشقات من 40 قذيفة مرة واحدة، وهي قذائف صنعت في مصر بحسب منظمة هيومان رايتس ووتش.

والقنابل العنقودية محظورة بموجب معاهدة أوسلو الموقع عليها 111 بلدا، ليس من بينها سوريا، والتي دخلت حيز التنفيذ عام 2010. و49٪ من ضحايا هذه القنابل مدنيون.

وقالت منظمة «الإعاقة الدولية» الثلاثاء إنها «تدين بشدة استخدام القنابل العنقودية من قبل الدولة السورية الذي أكدته منظمة هيومن رايتس ووتش، في إدلب واللطامنة، شمال سوريا. والمنظمة ترصد تزايد استخدامها رغم الإدانات الدولية».

وأشار مراسلون لوكالة فرانس برس عدة مرات إلى استخدام القوات الحكومية لهذه القنابل التي لا يملكها مقاتلو المعارضة.

وأضافت المنظمة: «جرى استخدام قاذفة صواريخ متعددة بي. ام - 21 في كانون الأول 2012 بالقرب من مدينة إدلب وفي 3 كانون الثاني 2013 في اللطامنة، شمال حماه (وسط). ويمكن لهذه القاذفة ان تطلق في المرة الواحدة حتى 40 قذيفة تحتوي كل منها على عشرات من العبوات العنقودية من نوع دي. بي. اي. سي. ام المضادة للأفراد والعربات. وجرى بالفعل إحصاء العديد من ضحايا» هذه الأسلحة.

وأضافت المنظمة، التي تعمل في سوريا ولبنان والأردن حيث لجأ مئات الآلاف من السوريين، أن «استخدام هذه الأسلحة في مناطق مزدحمة بالسكان يخلف العديد من الضحايا» وهي كثيرا ما تُنسى أو تُطمر في الأرض عندما لا تنفجر «ما يشكل تهديدا غير مقبول للسكان في السنوات المقبلة».

وكانت منظمة هيومان رايتس ووتش قد أكدت استخدام نوع جديد من القنابل العنقودية يتميز بالعشوائية وعدم التمييز، في هجومين شنتهما قوات الأسد في شمال غرب البلاد ووسطها.

وقالت المنظمة في بيان: «تستخدم القوات السورية صواريخ تتسم بعدم التمييز وتحتوي ذخائر صغيرة انفجارية. تشير الأدلة إلى استخدام القوات السورية لقاذفات الصواريخ من طراز «بي إم 21 غراد» متعددة الفوهات لإطلاق القذائف العنقودية في هجمات بالقرب من مدينة إدلب في كانون الأول 2012، وفي بلدة اللطامنة شمال غرب حماة، في 3 كانون الثاني 2013».

وتعد هذه الهجمات أول أمثلة معروفة على استخدام قوات النظام السوري للذخائر العنقودية أرضية الإطلاق. ولا توجد معلومات متاحة عن كيفية أو توقيت حصول النظام السوري على هذه الذخائر العنقودية، التي تم تصنيعها في مصر.

وكانت هيومن رايتس ووتش وغيرها قد نشرت من قبل تقارير عن استخدام القنابل العنقودية التي يتم إسقاطها من الجو.

وقال ستيف غوس، مدير قسم الأسلحة وحقوق الإنسان في هيومن رايتس ووتش إن قوات النظام السوري «تقوم (..) بتصعيد وتوسيع استخدامها للذخائر العنقودية رغم الإدانة الدولية لاستخدامها هذا السلاح المحظور، وهي تلجأ الآن إلى نوع من الذخائر العنقودية يشتهر بالعشوائية وعدم التمييز ويمثل تهديداً خطيراً للتجمعات السكنية المدنية».

وبناءً على مقابلات مع شهود، وتحليل ما يقرب من اثني عشر مقطع فيديو نشرها نشطاء سوريون على الإنترنت، وصور فوتوغرافية التقطها صحفيون دوليون، خلصت هيومن رايتس ووتش إلى أن قوات الأسد منذ مطلع كانون الأول على الأقل استخدمت قاذفات الصواريخ متعددة الفوهات من طراز «بي إم 21 غراد» لإطلاق صواريخ محملة بالذخائر العنقودية عيار 122 ملم وتحتوي على ذخائر صغيرة من طراز «دي بي آي سي إم» أو المعروفة باسم «الذخائر التقليدية المحسنة مزدوجة الاستخدام». وأدى الهجوم الذي استخدمت فيه هذه الذخائر العنقودية في 3 كانون الثاني على اللطامنة إلى قتل مدني واحد وجرح 15 شخصاً، فيهم نساء وأطفال، بينما قتل مدني آخر بفعل ذخيرة صغيرة غير منفجرة خلفها الهجوم. قتل رجل آخر، وهو أحد مقاتلي الجيش السوري الحر، في 5 كانون الأول ، بعد تعامله مع ذخيرة صغيرة غير منفجرة خلفها هجوم قبل يومين على قرية بنين في جبل الزاوية.

وقاذفة الصواريخ السوفيتية الصنع من طراز «بي إم 21» متعددة الفوهات هي نظام محمول على شاحنة وقادر على إطلاق 40 صاروخاً بشكل شبه متزامن. وتتمتع الصواريخ بمدى يتراوح بين 4 و40 كيلومتراً، كما تشتهر باستحالة توجيهها الدقيق لافتقارها إلى نظام توجيه. وافتقار هذه الصواريخ إلى الدقة يفاقم من خطر تأثير المساحة الواسعة للذخائر الصغيرة التي تحتوي عليها.

وقالت هيومن رايتس ووتش إنه يمكن لهذه الصواريخ التي يتم إطلاقها في مجموعات إحداث إصابات مدنية واسعة النطاق إذا استخدمت في مناطق سكنية.

وتحمل صواريخ الذخائر العنقودية من عيار 122 ملم علامات الهيئة العربية للتصنيع المملوكة للدولة المصرية وشركة مصرية تدعى مصنع صقر للصناعات المتطورة. تم تصميم ذخائر «دي بي آي سي إم» التي تحتوي عليها الصواريخ للاستخدام ضد الأفراد والمركبات على السواء. ويبلغ حجم كل ذخيرة صغيرة منها حجم بطارية من نوعية «دي» ويعلوها شريط أبيض مميز. ليس من المعروف ما إذا كانت الصواريخ عيار 122 ملم من طراز «صقر 18» أو «صقر 36»، اللذين يحتويان على 72 و98 ذخيرة صغيرة على الترتيب.

وتعد هذه الهجمات أول استخدام مسجل للصواريخ عيار 122 ملم التي تحتوي على ذخائر «دي بي آي سي إم» الصغيرة في النزاع السوري. وقامت هيومن رايتس ووتش في تشرين الأول وتشرين الثاني بتوثيق زيادة شملت أرجاء البلاد في استخدام القنابل العنقودية سوفييتية الصنع من طرازي «آر بي كيه 250/275 إيه أو - 1إس سي إتش» و«آر بي كيه 250 بي تي إيه بي - 2. 5» التي تطلقها الطائرات السورية.

قصف اللطامنة:

ووصف أحد سكان اللطامنة لهيومن رايتس ووتش هجمة الذخائر العنقودية يوم 3 كانون الثاني على بلدته، الواقعة شمال غرب مدينة حماة: «في نحو الرابعة صباحاً سقط أربعة صواريخ على اللطامنة. كان المطر غزيراً في ذلك اليوم، ثم توقف وعندها سمعنا صوتاً شديد الارتفاع ثم انفجاراً كبيراً. وبعد هذا سمعنا سلسلة من الانفجارات الأصغر. سقط الصواريخ الأربعة على مناطق مختلفة: فسقط ثلاثة في الحقول والرابع على شارع وسط المباني السكنية».

سبّب الصاروخ الذي سقط على الشارع بجوار المباني السكنية الكثير من الأضرار، فقتل رجلين وجرح 15 بمن فيهم نساء وأطفال. كان البعض يسيرون في الشارع في ذلك الوقت وكان آخرون في بيوتهم. وكان صلاح محمد حسين الخروف (نحو 45 عاما)... يقود سيارته عندما انفجرت الذخائر الصغيرة، فمات على الفور.

وقال الشاهد إن صلاح الخروف لم يكن مقاتلاً. وقال أيضاً، كما يبين أحد مقاطع الفيديو الصادمة، إن رجلاً في الثلاثين اسمه علاء عثمان زين، تم التعرف عليه باعتباره مدنياً، قتل بدوره بعد الهجمة حينما التقط ذخيرة صغيرة انفجرت بين يديه. ويبين مقطع فيديو يبدو أنه قد صوّر في منشأة طبية محلية في يوم الهجمة، يبين رجلاً مقتولاً ويده اليمنى قد نسفت، ومدنيين جرحى يتلقون العلاج، فيهم رضيع وطفلة صغيرة وصبية ونساء ورجال. يبين أحد مقاطع الفيديو إصابة تفتت جسيمة بذراع الرضيع اليمنى. وقال السكان المحليون إن ذوي الإصابات الجسيمة نقلوا إلى تركيا للعلاج، حيث ما زالوا هناك حتى الآن.

زار الشاهد أحد مواقع الهجوم وقال لهيومن رايتس ووتش إنه رأى «قنابل صغيرة منتشرة على مساحة نحو 200 متر» بما فيها 20 ذخيرة صغيرة غير منفجرة. كما التقط مقطع فيديو يبين بقايا صاروخ و10 ذخائر انفجارية صغيرة، وقال: «أخذنا [الصاروخ والذخائر الصغيرة غير المنفجرة] معنا إلى البيت. وبعد أن انتهينا من تصويرها وضعناها في جوال وألقيناها بعيداً وسط الحقول، فانفجرت كلها. كانت تلك أكثر الطرق أمناً لتدميرها».

وقال الشاهد إن قوات الأسد لم تدخل اللطامنة، لكن الجيش السوري الحر موجود منذ منتصف كانون الأول. وقال أيضاً إن البلدة تعرضت لهجوم من طائرات النظام ومروحياته، لكن هجوم 3 كانون الثاني كان مختلفاً لأن «تلك كانت أول مرة تُستخدم فيها مثل هذا الصاروخ علينا». وقال إن الصواريخ لم تلق من طائرة: «لم تكن هناك طائرة في ذلك اليوم. كان الجو ضبابياً، حتى بعد توقف المطر. جاء الصاروخ من اتجاه مطار حماة، الواقع على بعد 40 كيلومتراً من بلدتنا».

وقال شاهد آخر لهيومن رايتس ووتش إن مقاتلي الجيش السوري الحر في اللطامنة أخبروه بأن زملاءهم في الجيش الحر قرب مطار حماة أبلغوهم بانطلاق الصواريخ من ناحية المطار يوم 3 كانون الثاني.

ووصف شاهد آخر من سكان المنطقة هجمة 3 كانون الثاني لـ هيومن رايتس ووتش: «سمعت انفجاراً كبيراً أعقبته انفجارات أصغر. كان الجو مازال غائماً لكن المطر كان قد توقف. بعد توقف الانفجارات ذهبت لرؤية ما حدث. كانت المباني المتضررة على بعد 200 متر من المكتب. عند وصولي رأيت جرحى في كل مكان وقنابل صغيرة تغطي الشوارع. كان التلف اللاحق بالمباني لا يذكر. رأيت الكثير من القنابل الصغيرة غير المنفجرة. لا أذكر عددها لكنها تفوق الـ10. قتلت القنابل الصغيرة رجلين: مات أحدهما على الفور بينما كان في سيارته ومات الآخر بعد ساعة حين انفجرت قنبلة صغيرة في يديه وهو يحاول إلقاءها بعيداً عن باحة منزله. بتر الانفجار يده. اسمه علاء ناصر عثمان. كان الجرحى [الذين رأيتهم] سبعة أطفال وثلاث نساء وثلاثة رجال».

وقال الشاهد إنه لم تكن هناك عربات تابعة للجيش السوري الحر ولا تجمعات قريبة من المباني التي أصابتها الهجمة أو بداخلها. وقال إنه في توقيت هجمة الذخائر العنقودية كانت هناك اشتباكات تدور بين الجيش السوري الحر وقوات الأسد في قرية مورك على بعد سبعة كيلومترات.

وتبين مقاطع فيديو أخرى تم رفعها على موقع «يوتيوب» بقايا الصاروخ والذخائر الصغيرة المستخدمة في اللطامنة على ما يبدو، من بينها مقطع فيديو يظهر حقلا به تجاويف صغيرة تضم العديد من الذخائر الصغيرة الظاهرة غير المنفجرة، ومقطع آخر يبين ذخائر صغيرة غير منفجرة في منطقة سكنية.

هجمات كانون الأول قرب إدلب

في 12 كانون الأول قامت صحفية دولية بزيارة منطقة شجرية غير مسكونة خارج قرية بنين بجبل الزاوية، حيث التقطت الصور لبقايا الذخائر العنقودية وبقايا الصواريخ الأرضية المستخدمة في هجمة 5 كانون الأول. وأبلغ أحد ممثلي الجيش السوري الحر المحليين الصحفية بأنه رغم أن هجمة الذخائر العنقودية لم تؤد إلى مقتل أو إصابة أحد إلا أن أحد أفراد الجيش السوري الحر، يدعى أحمد محمد خليفة، قتل في 5 كانون الأول حينما حمل ذخيرة صغيرة غير منفجرة إلى سيارته. كانت العربة المدمرة لم تزل في مسرح الواقعة حين زارته الصحفية، وقد استقرت فيها شظايا من ذخيرة عنقودية صغيرة منفجرة. وكان أحمد خليفة يجمع الذخائر الصغيرة غير المنفجرة مع شقيقه لمنع المدنيين من التعامل معها.

يبين عدد من مقاطع الفيديو التي التقطها نشطاء محليون ورفعوها على موقع «يوتيوب» خلال شهر كانون الأول ، يبين بقايا نفس النوع من الذخائر العنقودية أرضية الإطلاق من مواقع تقع ضمن نطاق 20 كيلومتراً من إدلب في جبل الزاوية، بما فيها بلدات سرجة ومعردبسة ومعرزاف وسراقب.

وتبين مقاطع الفيديو أشخاصاً يتعاملون مع بقايا الصواريخ عيار 122 ملم وذخائر «دي بي آي سي إم» الصغير غير المنفجرة، وهو تصرف شديد الخطورة، حيث أن تصميم نظام الفتيل في هذا النوع من الذخائر الصغيرة يجعلها شديدة الحساسية، والذخائر الصغيرة التي تخفق في الانفجار عند الارتطام الأولي عرضة للانفجار إذا تم تحريكها.

وقال أول شاهد من سكان اللطامنة ممن أجرت معهم هيومن رايتس ووتش مقابلات: «وزعنا منشورات تحذر الناس من لمس القنابل الصغيرة إذا عثروا عليها. كما كنا نردد هذه الرسالة في أوقات الصلوات في المساجد».

منظمات حقوقية - وكالات

أوجاع وطن

ليله في الجحيم

■ ثائر من دير الزور

بين داريا وأشرفية صحنايا في مبنى هجّر منه سكانه يوجد غرفه مساحتها عشرين مترا تقريبا كان فيها أكثر من خمسين معتقل كان كل من فيها يرتدون ما أرتديه فلا يسمح لك بدخول الجحيم بدون أن تخلع كل ثيابك وتبقى (بالشورت الشيال).. دخلت فسلمت على ما تبقى من أرواح فالأجساد كانت قد تجمدت وضاقت الأرواح منها ذرعاً.

هناك في الزاوية رجل خمسيني كان ظهره لوحه فنية رسمها وحش بأخمص بندقيته وبكعب حذائه العسكري اقتربت منه وقد كان مستلقيا على البطانية الوحيدة الموجودة في أرض الصقيع انحنيت فوق ظهره فانتفض ما تبقى من جسده خوفاً أو برداً أو كلاهما

أنا دكتور يا عمي خليك مرتاح فتسللت من عينه دمعتان لا أعلم إن كانت دموعه خرجت ألماً أو حزناً أو فرحاً.

تبسم لي وقال لي اللّه يحميك يا ابني..

ألقيت نظرة على جراحه وأنا أرتجف برداً وألماً من بشاعة المنظر.

لم يكن في كل الغرفة ما يساعدني على أن أمسح جروحه خلعت القميص الداخلي واتجهت إلى صنبور المياه الذي ما إن فتحته شعرت وكأني فتحت بوابة الجحيم فبرودة الماء تقتل ما تبقى لدي من إحساس في يدي ملئت كأس من المياه وأنا ارتجف وبدأت انفخ فيه فنظر إلي أحد الشباب الذي كانت حصته من الجحيم تحت المغسلة وقال: شو عم تعمل يا زلمة.. رددت عم دفي ألمي ضحك وضحك عدد من الأموات تابعت النفخ بالكأس وتجاوزت صفوفا من الأموات على ارض الجحيم حتى وصلت إلى أبو صبحي جلست بجانبه وبدأت بمسح الجروح كانت الاصوات في جحيم الأسد كلها أنين خافت وتسبيحات شيخ في الأربعينيات من عمره وقف خلفي وهو يرتجف وقال لي بساعدك بشي دكتور؟

طلبت منه أن ينفخ بكأس الماء ويقرأ عليه أية الكرسي..

كانت يداي ترتجفان من الساعد والأكتاف.

وبعدما انتهيت سمعت صوتا ينادي من مكان ما في هذا الجحيم المكسو بالأجساد وقفت انظر من ينادي فرفعت يد هناك في تلك المساحة التي قرب باب الزنزانة شاب يبلغ الثالثة والعشرين من العمر مصاب برصاصه قناص في بطنه وصلت إليه بصعوبة بعد أن مررت فوق بحور اللحم المجمدة كان من خاط الجرح طبيب ميداني صاحب خبرة بسيطة لم يكن الجرح ينزف لكن خيوط الجراحة قد بدأت تتعفن.

سألته قديش صارلك هون فرد علي 20 يوم.. تمنيت لو أن لدي ما أساعده به حاولت فك الخيوط لكن يداي لم تساعداني فالبرد كان قد قتل أي إحساس فيها.

ناديت الشيخ الأربعيني أبو يوسف قلت له سمي باللّه واقرأ عالجرح.

نفخ في يده يدفئها وبدأ يقرأ القرآن بصوت يعيد الدفء للقلوب.

كانت الساعات الخمس داخل الزنزانة هي الأكثر ألماً في حياتي.

نادوا على اسمي للتحقيق لأكمل ساعتي السادسة في غرفة كانت كالجنة فهنا تعمل مدفأة المازوت ودخان السجائر كان يملئ الغرفة بالضباب.

كان جهازي المحمول بين يدي الضابط كنت مطمئن كل الطمأنينة أنهم لم ولن يجدوا إلا ما أريدهم أن يجدوه فصورة الأسد كانت خلفية سطح مكتبي وأغاني الداعور وصور الأسد وأغاني جورج وسوف ومقتطفات من خطابات الأسد وأغاني (وطنية) كانت تملئ الملفات بعد عدة أسئلة.

اعتذروا مني وقربوني من المدفأة وبينما كنت اكرر في داخلي الأرقام التي أخذتها من بعض المعتقلين كي لا أنساها.

جاؤوا لي بثيابي ومتعلقاتي لبستها وقال الضابط لعنصر كان يستند على الباب طالعوه للدكتور ما عليه شي.

خرجت من الجحيم بعد اتقاني الدور دور الوحش والمتخلف عقليا وروحيا دور أعادني إلى المسرح وتعلقي بالتمثيل.

خرجت الساعة الثالثة بعد منتصف اليوم إلى شارع مظلم قلت للعنصر الذي أوصلني إلى درج البناية لك وين بدي روح ما بعرف وين أنا.

قال إلحقني مشينا في الشارع ثم اجتزنا الطريق إلى طرق فرعيه حتى وصلت إلى الشارع العام لأشرفية صحنايا هناك رفع اللاسلكي وكلم الحاجز القريب ليأتي عنصر على دراجة نارية ويأخذني إلى الحاجز اتصلت بأحد الأصدقاء وبعد ربع ساعة قضيتها على الحاجز جاء ليقلني.

صعدت إلى السيارة وكان كل ما في يرتعد خوفاً وبرداً بدأت بتسجيل الأرقام التي كانت همي الوحيد على موبايلي.

أخذني صديقي إلى منزله لم تكفي كل بطانيات منزله لتوقف نزيف ما تبقى مني.

غفوت ولم أدرك أني غفوت استيقظت صباحاً وكأن كل ما كان هو حلم أو مجرد تخيلات لولا الأرقام التي خرجت بها من الجحيم واستيقاظي في منزل صديقي لقلت أني كنت أعيش كابوساً.

اتصلت بأهل المعتقلين كان البعض منهم قد فقد الأمل في أن يكون ابنه أو أخوه حيا طمأنتهم أنهم أحياء وأنا في قرارة نفسي كنت أتسائل هل هم أحياء حقا؟.. أم أموات مع وقف التنفيذ.

هناك تفاصيل كثيرة ضاعت مني ولم استطع أن أنقلها أو أن أعبر عنها بالحروف.

الحادثة بتاريخ 11 / 1 / 2013

حـــراكنا (شـارع سـوريتنا)

سوريتنا | شام داود

مائتان وأربع وخمسون مظاهرة هتفت لشهداء جامعة الثورة

لجان التنسيق المحلية - سوريا:

حرية.. صرخةٌ مدوية رفعتها حناجر طلابنا في جامعة الثورة منذ بداية الحراك الثوري في وجه نظام الطغيان الذي سجن الكلمة قبل الجسد، وقد عمدوها بدمائهم دوما إلى أن كانت مجزرة جامعة حلب التي راح ضحيتها أكثر من ثمانين شهيداً من الطلاب.

وثقت لجان التنسيق المحلية في سوريا 254 مظاهرة في عموم الوطن السوري جاءت إدلب في مقدمتها عبر 75 مظاهرة هتف المتظاهرون من خلالها لطلاب جامعة الثورة وحيوا أرواح شهدائها.

تلتها حلب عبر 59 مظاهرة خرج فيها المتظاهرين مؤكدين على استمرار نضالهم في وجه نظام الطغيان حتى النصر، أما في حماه فقد خرج الثوار عبر 55 مظاهرة مؤكدين تضامنهم مع جامعة حلب وتمسكهم بمطلب رحيل النظام وكافة رموزه عن السلطة.

أما في دمشق وريفها فقد خرج المتظاهرون عبر 43 مظاهرة رغم القصف الشديد على مدنهم وبلداتهم مؤكدين على استمرار نضالهم بوجه النظام وآلته العسكرية بكافة السبل والطرائق.

أما في دير الزور فقد خرج المتظاهرون عبر 31 مظاهرة أكدوا من خلالها وقوف الشعب السوري بكافة شرائحه الثقافية والقومية والاجتماعية بوجه النظام وحيو طلاب جامعة حلب.

أما في درعا فقد خرج الأحرار عبر 20 مظاهرة هتفوا من خلالها لإسقاط النظام.

وفي حمص فقد خرج المتظاهرون عبر 7 مظاهرات رغم الحصار والقصف المتواصل لتجديد مطالبتهم بإسقاط النظام.

في الحسكة فقد خرج الثوار عبر 9 مظاهرات للمطالبة بالحرية وإسقاط النظام.

و في اللاذقية فقد خرج الثوار عبر 5 خمسة مظاهرات حيوا من خلالها جامعة حلب وطلابها.

في الرقة فقد خرج المتظاهرون عبر 4 مظاهرات طالبو فيها بالحرية وإسقاط النظام

ساحل سوريتنا

يتابع نشطاء الساحل السوري حركتهم، ففي طرطوس تم رمي مناشير في جامعة الاقتصاد يوم الجمعة الماضي مما فرض حالة تشديد امني شديدة وتفتيش الحقائب لبعض الطلاب.. بعض ما جاء في المناشير: حلب و طرطوس ايد وحدة، جامعة حلب جامعة الشهادة قبل الدراسة، جامعاتنا اقوى من طيرانكم

المعتقلين السوريين

حملة أسبوع المعتقلين شاركت نشطاء عبر مواقع التواصل الاجتماعي على الفيسبوك والتويتر بحملة أسبوع المطالبة بالمعتقلين تحت عنوان لأنهم يستحقون الحياة وقد رفعت لافتات عدة بهذا الخصوص في عدة مظاهرات في المدن السورية وتبنت صفحات إخبارية الحملة عبر التذكير بالمعتقلين في السجون السورية منذ أشهر عديدة ونشر نداءات للمطالبة بالإفراج عنهم أو كشف مصيرهم.

فيما يلي نص البيان:

منذ أطفال درعا، حتى اليوم، مارس النظام السوري كل أشكال القمع والعنف المكثف في الشوارع والمعتقلات رداً على المطالب المشروعة التي نادى بها السوريون (الحرية، الكرامة، العدالة، ومساواة السوريين ووحدتهم).

اليوم، بعد تسجيل العديد من الهيئات الحقوقية والدولية الكثير من الانتهاكات، ابتداءاً من الإهانة وانتهاءاً بالموت تحت التعذيب، وهناك آلاف المعتقلين صدرت بحقهم أحكام من محاكم ميدانية لمدة قد تصل لثلاثين عاماً، وبعد أن تجاوز عدد المعتقلين والمفقودين ال(126) ألف سورية وسوري.

فإننا نطالب جميع الهيئات المدنية والحقوقية (العربية والدولية) بالضغط على النظام، لإطلاق سراح المعتقلين.

سوريا الحرة ثقافة بلا حدود

نظم نشطاء في مدينة الباب السورية في الشمال المحرر أسبوعاً ثقافيا بالتعاون مع مجموعة (مع بعض). يعد هذا المشروع هو الأول من نوعه يقوم بتنظيمه نشطاء منذ انطلاقة الثورة السورية المباركة وحتى اليوم.

يناقش الأسبوع الثقافي المواضيع التالية:

اللاعنف: اللاعنف كأداة ضغط على الحكومات لتعديل سياساتها بما يخدم مصالح المجتمع وكأداة لإسقاط الحكومات الديكتاتورية.

التطوع: تنمية ثقافة التطوع وكيفية بناء شخصية المتطوع، ودود التطوع في تكريس قيم العمل الجماعي والمشاركة.

أهمية التعليم: دور التعليم في بناء الفرد والمجتمع.

وقد نشرت مجموعة مع بعض على صفحة الفيسبوك مقتطفات من المحاضرات التي حضرها أهل مدينة الباب وصور لمشاركات الحضور. نذكر بعض منها من محاضرة التطوع:

يشكل العمل التطوعي شراكة تجمع بين أفراد يحملون على عاتقهم مسؤولية الرعاية والتنمية الاجتماعية، سواء بالرأي أو بالعمل أو بالتمويل أو بغير ذلك من الأشكال. فتكاتف فريق المنظومة التطوعية يشكل خلية تتجسد فيها أبلغ معاني التعاون من أجل النهوض بمكانة المجتمع.

يشير تعريف تقني أكاديمي للتطوع: "هو تخصيص وقت وجهد، بشكل إرادي حر، ودون الحصول على أرباح مادية، لمساعدة الآخرين والإسهام في تحقيق النفع العام / الصالح العام".

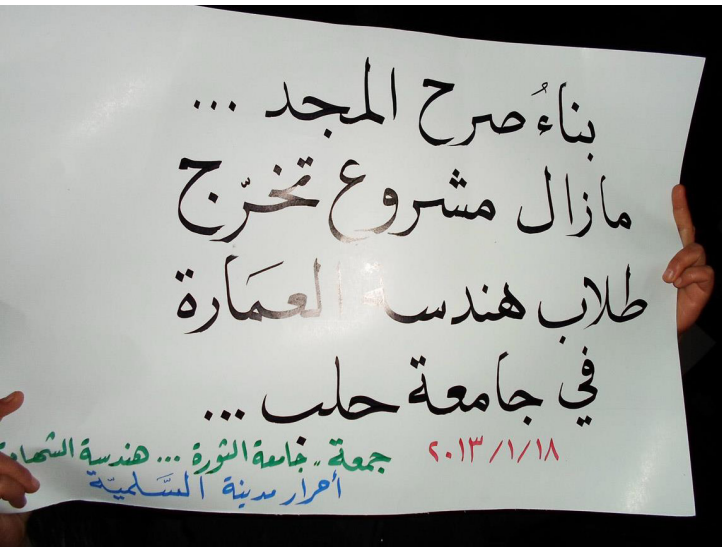

من مظاهرات مدينة السلمية

لافتة من أحرار بانياس ضمن حملة المطالبة بالمعتقلين

ألوان متمردة من درعا غرافيتي حملة المطالبة بالمعتقلين

أثناء محاضرة المجتمع المدني ووظائفه التي أقيمت في مدينة الباب ضمن الأسبوع الثقافي

تقريـــر إعلاميـــة أيـام الحـــرية

الأسبوع الثالث كانون الثاني 2013

أيام الحرّية

إعداد: نسيبة هلال

هل فات الأوان لتثور من جديد؟!

إن فـرص النجاح متاحـة لكل واحد منـا، و فرصة المشـاركة بهذه الثورة العظيمـة أيضاً إذا عرف كيف يكتشـف منطقة تفوقه و كيـف يمكنه أن يخدم هذه الثورة، وماذا يمكن أن يشارك. فالثورة فكر، الثورة إيمان، الثورة مستقبل، فكيف تحب أن يكون مستقبلك؟

فكّر فتفكيرك بمسـتقبل أفضل هو مشاركة بالثورة و إن كنت تبحث عن البديل فتوقف عن البحث و كن أنت البديل.

بهذه الكلمات أطلقت حركة وعي منشـورا تحث فيه السوريين كلهم على المشاركة بالثورة، و تشرح فيه كيفية المشاركة بعدة طرق.

و تزامنـا مـع أسـبوع المعتقلين، أصـدرت أيام الحريـة بيانا تم إرسـاله للمنظمـات العالمية، تحدثـت فيه عن انطلاقة الثورة و أهدافها المشـروعة، و عـدد المعتقلين المتزايد و أماكـن و ظروف اعتقالهم، و مـا يتعرضون له من تعذيب و سـوء تغذية، و الأمـراض التي تحدث لهم عدا عـن إصابات التعذيب، هـذا البيان طالبت فيه أيـام الحرية جميع الهيئات المدنيـة والحقوقية(العربية والدولية) بالضغط على النظام السوري للإفراج عنهم. و دعت إلى ارتداء اللون الأبيض أو الأسود للتعبير عن تضامننا معهم.

أيضا حملة دفئ.. من تنفيذ إغاثيون من أجل الوطن و اتحاد الطلبة الأحرار - دمشق شكرت كل من مد لها يد المساعدة في إعانة اللاجئين.

نعاني من أزمة هوية؟؟ نعم، فكلنا كنا نحسـب أنفسـنا سـوريون، و لكن موقفنـا مما يحدث في سـورية الآن هـو ما يحدد هويتنـا الحقيقية، في حملة كتـاب بثورة التـي أصدرته حركة وعي يقارب أمين معلـوف في كتابه الهويات القاتلـة هذه الفكـرة بالحديث عن الهوية التي يصنعها كل منا لنفسـه بغض النظر عن انتمائه و بيئته.

أمـا في حملة قرآن مـن أجل الثـورة و التي تصدرها أيام الحرية بشـكل دوري فقد تحدثت عن الانتقام و المسامحة، و كيف أن أصحاب القضايا العادلة يتسـامون فوق جراحهـم، فصاحب الحق حين يمارس الصبر، يطرد شـياطين الانتقام، و تتنزل عليه ملائكة الرحمة و التسامح.

و تضامنـا مع طلاب جامعة حلب الشـهداء، أطلقت وعد يـا جامعتي حملة لتنظيم حركات مدنية تضامنا معهم.

كما خرجت مظاهرة رائعة لاتحاد طلبة سـوريا الأحرار تحت عنوان (جامعة الثـورة.. رح تبقى حـرة) ضمن حملة امتحان الدم في سـوق الفـرو احد اعرق اسواق دمشق عند تقاطع البدوي في منطقة دمشق القديمة.

و في حين يتسـاقط العديد من الشـهداء و نحن نشعر بالعجز أمام أهلهم الملتاعيـن و المقهوريـن، أطلقـت أيام الحريـة بالتعاون مع الحراك السـلمي السـوري منشـورها الجديـد ضمن حملة الدعم النفسـي، يوضـح كيف يمكن التحدث مع من يفقدون أفرادا من أسـرتهم أو المقربين لهم، و ذلك باستيعاب حزنهم و التواصل معهم و تقبل مشاعرهم.

و حيـن نكون أصحاب حق فلسـنا بحاجة للكـذب أو التبرير، إن الصدق هو ما يعطي المصداقية و المشروعية لقضيتنا، هذا ما تحدث به أسامة نصار في برنامج منارة في حلقته الأولى على راديو أمواج الحرية.

كما صدر المنشـور الأول للعمل الجماعي من إنتاج أيام الحرية و بالتعاون مع الحراك السـلمي السـوري، يتحدث كيف يمكننا قهر الشـك فـي تعاملنا مع الآخريـن، و كيف يمكن أن تكون لنا حسـن النيـة بالآخرين، و في نفس الوقت نستطيع تمييز الحق من غيره.

أمـا فـي حملة علمتنـي الثورة، فقد صدر منشـور جمع أجوبـة الكثيرين، علمتنـي الثورة الصبـر و حب الوطن و حسـن النية في التعامـل مع الآخرين، علمتنـي الثورة أنه لا يمكن تحقيق الذات إلا عبر تفضيل الآخر. علمتني الثورة الكثير، و أنتم ماذا علمتكم؟!

و فـي ظـل الاسـتقطاب المتزايد فـي المجتمع السـوري نتيجـة الإجرام الممنهج الذي يمارسـه النظام السـاقط ولجانه الطائفية التشـبيحية، وقيامه بمجـازر مريعـة، وسـعيه الحثيث لخلـق حرب أهليـة وقودها الفكـر الطائفي والفكـر المتطرف الغريب، الذي يجد في ما يمارسـه النظام أرضاً خصبة للنمو والتغوّل في المجتمع، كان لابد من وقفة جادّة وحاسـمة تكون على قدر هذه المسؤولية أمام الشعب والوطن.

مـن أجل ذلـك كانت حملة «شـعب واحـد.. مصير واحد» حتـى نصل معا لشاطئ الأمان.

هذه الحملة تنشـر فـي كل يوم أربعـاء مجموعة مواد فكريـة و إعلامية لتصل بسورية كل يوم للشعب الواحد المتكاتف البناء.

وقـد كان لحرائـر القابـون مشـاركة مميزة في هـذه الحملـة، حيث قمن بتعليـق شـرائط الأخوة التـي كتبن عليهـا عبـارات الوحدة بين أبناء الشـعب السـوري: اختلاف الرأي هـام لبناء الوطن - وحدة وطنيـة - الدين للّه والوطن للجميع - شعب واحد.. مصير واحد..

لنشارك بالثورة، و لنغرس كل ما نستطيع من الفسائل لنبني الوطن.

الثورة السورية ثورة تاريخية عظيمة - مع أيام الحرية شاركنا الثورة

المظلومون في التاريخ
قراءة في يوميات الثورة

■ ياسر مرزوق

عنوان ملفنا اليوم عن كتاب للعلامة والمؤرخ السوري " شاكر مصطفى " والذي قدم له بما يلي:

"أكره الظلم والظالمين.. طبيعةً في ما أدري من أين ورثتها، ولكن قلبي ينفجر لكل ظلم ومظلوم، وبيني وبين العدل حلف يدخل في تكويني ونسيجي الروحي، وقد علمني هذا الحلف أن أنظر على الدوام إلى الوجه الآخر للتاريخ، الوجه المطل على الجحيم. وتشقى إذا أطللت على هذا الوجه الآخر، إن ألواناً من الظلم تتراءى لك من كل جانب كما لو أنها صور المعذبين في جحيم دانتي.. ويحدثونك عن محكمة التاريخ العادلة وينتظرون منها النصفة والميزان.. وينصبون لها القاضي العجوز الأبيض اللحية والشعر، وبيده القلم وعيناه تبصان كمن يخرق بنظره السماء والأرض، قل إنه أعمى، وضلال ما تتوهمون. تلك الملفات التي تتراكم لديه وتتراكم جبالاً من الورق لن تفتح أبداً إلا إن شئت أنت أو شئت أنا فتحها والنظر في الوجه الآخر للتاريخ إن كان ثم ما يكشف الوجه الآخر!".

كتاب علامتنا سردٌ للمظلومين في التاريخ أو أشهرهم، ليختمه بفصل عنوانه "الفلسطيني الذي في القاع" ولو قدر لمصطفى طول العمر لأضاف الفصل الأكبر لكتابه تحت عنوان "الثورة المظلومة"، ملفنا اليوم ليس للتباكي ونكأ الجراح عما أصاب ويصيب ثورتنا المباركة، بل هو إطلالة على أيام مضت في عمر الثورة، لرصد الظلم الذي ذاقه السوريون من الأهل قبل الخصوم، مع يقينٍ بأن من يرفض الظلم ليس بمظلومٍ ومن يقبل به يستحقه، ملفنا وثيقةٌ لنا قراءتها بتأنٍ بعد انتصار الثورة وزوال الطاغية.

لنبدأ بمخيم العار "مخيم الزعتري" الذي أغرقت المياه ساكنيه، وبحسب الناطق الرسمي باسم المخيم "أنمار الحمود" فإن ما حدث كان بسبب عدم توفر "المصارف اللازمة لمياه الأمطار". في هذا المخيم تعثرت البشرية، لكن وصمة العار الأكبر في جبينها هي استمرار تدفق اللاجئين إلى الموت هرباً من الموت، وقد وصفت صفحة الثورة السورية ضد بشار الأسد 2011 "حال اللاجئين" رحلوا بأطفالهم ونسائهم خوفاً من الخطف والقنص والقصف، حلموا بخيمة آمنة بعيدة عن كلاب الأسد وعصاباته، لكن الموت البطيء كان في انتظارهم".

وتطالعنا وسائل الإعلام العربية المؤيدة للثورة بمنحةٍ قدرها عشرة ملايين دولار للإغاثة في المخيم تبرع بها العاهل السعودي، والمراقب للتغطية الإعلامية لما حدث في المخيم يجد أن المكرمة الملكية حازت تغطيةً أكبر من معاناة السوريين. وبالعودة للتاريخ القريب، وطبقاً لكتاب "الحروب غير المقدسة" لمؤلفه الصحفي الأمريكي المخضرم "جون كولي": "يوم الخامس من كانون الثاني عام 1980 كان "زيجينو بريجنسكي" مستشار الرئيس الأمريكي "جيمي كارتر" للأمن القومي في السعودية ليجتمع بولي العهد وصاحب السلطة الفعلية في المملكة حينها الأمير فهد، لتوزيع الاختصاصات في مخططه الشهير لمحاربة الشيوعية عن طريق الجهاد الإسلامي، ومن اللافت في الترتيبات العملية التي يوردها الكاتب الاتفاق على التمويل المشترك بين المملكة والولايات المتحدة الأمريكية بصندوق دوار يتأسس في جنيف، بمبلغ قدره ألف مليون دولار يتجدد تلقائياً بمقدار ما يصرف منه.

كما باعت الولايات المتحدة إلى صندوق الجهاد الإسلامي في أفغانستان 900 صاروخ "ستنجر" مضاد للطائرات، وبحسب كتاب "أحمد رشيد" الصحفي الباكستاني المرموق "طالبان" فإن أمريكا لم تدفع إلا نسبة ضئيلة من تمويل الصندوق، بينما تكفلت المملكة بنصيبها وأكثر.

وطوال حقبة الثمانينات كانت أموال الجهاد ضد الإلحاد في أفغانستان تتدفق سيلاً في العالم العربي فالمصادر أصبحت سخية والفرص مفتوحة على الآخر، ليحتفل الجميع أخيراً بسقوط المنظومة الاشتراكية، فحين يكون القرار أمريكياً تصرف الأموال بلا حدود، وحين يكون أمريكياً أيضاً يترك السوريون ليلعقوا جراحهم ويترك أبناؤهم للبرد والجوع وتحتفي وسائل الإعلام بالفتات المقدم لهم.

فأمريكا لم تقف عند حد إعاقة أي موقف دولي فعليّ يوقف المجازر المرتكبة بحق السوريين، بل أجبرت الجميع على منع وصول أسلحة دفاعية لا هجومية للجيش السوري الحر؛ لتحييد سلاح الطيران الذي يدك المدن والحواضر، متذرعة بفيتو روسي في مجلس الأمن هذا الفيتو الذي تجاهلته عندما قررت ضرب "الصرب" في قلب أوروبا، وفي العراق وليبيا لاحقاً، واليوم يخرج علينا وزير الدفاع الأمريكي بضمانات لربيبته إسرائيل، وباستعداده لضبط السلاح الكيماوي حال سقوط النظام. وبين التصريح وسقوط النظام مئات الشهداء وآلاف المشردين والجوعى، لنتذكر تعليق مدير مركز بيغن –السادات للدراسات الاستراتيجية في اسرائيل: "ليس المهم من يحكم بعد الاستنزاف، لأن الدولة السورية تكون قد ضعفت وخطرها قد انتفى".

وفي السياق ذاته تطالعنا "الشرق الأوسط" بمقال جاء فيه: "أخيراً شعر الصينيون بتأنيب الضمير جراء المجازر المروعة للأطفال المذبوحين، وملايين المهجرين الجوعى، فمدوا يدهم وأخرجوا من جيبهم شيك مساعدة قيمته خمسون ألف دولار!! نعم الرقم صحيح؛ خمسون ألف دولار، من الصين الدولة الكبرى التي تملك محفظة استثمارات في البنوك الأميركية بتريليون دولار، وباعت في أسواق الخليج ما قيمته مائه وثلاثون مليار دولار في عام، وهي الصين التي حمت نظام الأسد وأطلقت يده بكل فيتو في مجلس الأمن مع روسيا، على الأقل، عرفنا روسيا صريحة في عدائها للسوريين، تمد النظام السوري بالسلاح والوقود، أما الصين فتختبئ خلف الدب الروسي في مجلس الأمن، ومكنت الأسد من مجازره. لا نعرف ماذا سيفعل السوريون بهذا المبلغ البخس، خمسون ألف دولار، وأي جروح سيضمدها".

أما عن استمرار الظلم فلنا المرور على صفقة تبادل الأسرى التي تمت بين النظام والجيش الحر، وهو الذي رفض مراراً مبادلة خيرة ضباطه وطياريه الذين أسرهم الثوار مردداً عبارة "أقتلوهم لا نأبه بهم" قبل بمبادلة ألفي إرهابي حسب زعمه وأطلاقهم ليعيثوا فساداً في البلاد مقابل خمس وأربعين حاجاً إيرانياً بحسب زعمه أيضاً، أو أنه قبل بمبادلة ألفي معتقل سوري ظلماً مقابل خمس وأربعين مقاتلاً إيرانياً، لتعود للحلق المرارة التي كان يشعر بها العرب والسوريون حين تبادل إسرائيل رفات جندي من جنودها بمئات الفلسطينيين والعرب.

ونتجه شرقاً لتعلن وزارة الدفاع العراقية إغلاق منفذي ربيعة والوليد الحدوديين في وجه اللاجئين السوريين الذين استقبلوا في الأمس القريب مليوني عراقي كمواطنين لا لاجئين وتحملوا أعباء اقتصادية واجتماعية يرزحون تحتها أصلاً.

أما غرباً فقد دعا صهر الجنرال الوزير "باسيل" إلى إغلاق الحدود في وجه السوريين وترحيل الموجودين أصلاً في لبنان إلى مناطق سورية آمنة أو دول أخرى بحجة أن لا قدرة للبنان على تحمّل

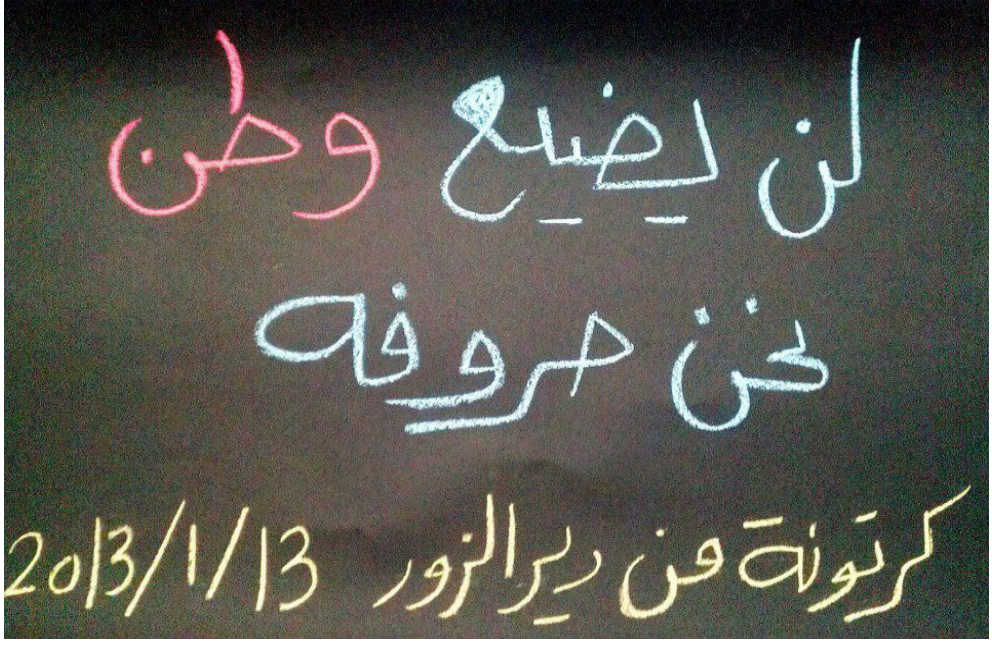

الأعباء الاقتصادية والمالية والاجتماعية لوجود اللاجئين على أراضيه.، أو على الأقل الفلسطينيون منهم. ففي كلمة بمناسبة يوم النبيذ اللبناني، طالب بالمحافظة على كل شبر من الأرض اللبنانية وكأن اللاجئين السوريين اختاروا لبنان بملأ إرادتهم ويخططون للبقاء هناك، وقال "وعندما نقول لا نريد نازحين سوريين وفلسطينيين فذلك لأنهم يأخذون مكاننا" ثم أضاف "ألا يكفينا الفلسطينيون في لبنان لتأتي بقية المخيمات إلى لبنان أيضاً".

ولن نتكلم اليوم عن "نصر اللّه" الذي لم يعد في موقع الدفاع عن الأسد أو نظامه بل بات مدافعاً عن نفسه وزعامته التي شوهتها الثورة السورية، وبات يعيش "كاليغولا" في مسرحية "الحصان" ليوليوس هاي، قائلاً: "العزلة، أتعرف العزلة، هل هي عزلة الشعراء والعاجزين، العزلة ولكن أي عزلة، أنت لا تعرف أن المرء لا يمكن أن يكون في عزلة أبداً، وأننا أينما حللنا يلاحقنا ثقل المستقبل وثقل الماضي، والمخلوقات التي قتلناها تظل معنا"..

أما نواب الرابع عشر من آذار فباتوا يزاودون بدعمهم للثورة السورية لتدخل قضيتنا العادلة في حسابات الانتخابات النيابية، ونختم رحلتنا إلى لبنان مع موقف وليد بيك جنبلاط لصحيفة السفير، ومفاده "أن العالم قد ترك السوريين للقتل ولم يقدم أحدٌ الحل".

وغرباً أيضاً إلى فرنسا الداعم الأكبر للثورة السورية أوروبياً، فقد صرح المسؤول السابق للمخابرات الفرنسية - دائرة حماية الإقليم - ايف بونيه، بإرسال بلاده وحدات عسكرية إلى مالي لمساعدة الجيش هناك في حربه ضد الإسلاميين بحجة افتقار الأخير للعدة والعتاد وعدم قدرته على المواجهة في الوقت الراهن.

وكانت صحيفة "ليبراسيون" اليومية الفرنسية قد نشرت أهداف ودوافع العملية التي تشنها القوات الفرنسية في مالي وذكرت الصحيفة، في تحليلها للتدخل العسكري في مالي، أنه ومنذ الانقلاب ضد الرئيس مالي السابق، "أمادو توماني توري"، في آذار 2012، والاستيلاء على شمال مالي من قبل الجماعات الجهادية والإرهابيين، حاولت باريس، دون جدوى، تعبئة المجتمع الدولي لصالح التدخل العسكري بقيادة البلدان الأفريقية في المنطقة، وذلك بدعم من الغرب. وأضافت أن ما يدفع باريس لذلك هو استهداف عناصر تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي ومنذ عدة سنوات للمصالح والرعايا الفرنسيين في منطقة الساحل الأفريقي، وتخشى فرنسا من تحول هذه الأرض الصحراوية الشاسعة إلى ملاذ للتنظيم وحلفائه قد يستخدم في إعداد هجمات معادية لفرنسا في غرب أفريقيا، ولكن أيضا داخل الأراضي الفرنسية.

فرنسا التي تخشى على حدودها وعلى النفط الموجود شمال مالي لم تتردد في التدخل العسكري المباشر، أما سوريا البعيدة عن الحدود والتي لا تملك نفطاً فحتى يومنا هذا لم تقدم باريس للثوار رصاصة يدافعون بها عن أرواحهم، ولم تقف باريس هنا بل طالبت العرب والمسلمين بمساعدتها في حربها في مالي.

وفي يومياتنا أيضاً أفادت "لجنة الإنقاذ الدولية" في تقريرها الأخير بأن الاغتصاب يستخدم كأداة حرب خلال النزاع الدائر في سوريا، وهو عامل "رئيسي" وراء فرار العديد من النساء والفتيات إلى دول مجاورة. وقالت اللجنة، ومقرها الولايات المتحدة، في تقرير بعنوان "سوريا: أزمة إقليمية"، إن الاغتصاب "سمة مهمة ومثيرة للقلق في الحرب الأهلية في سوريا". وأضافت انه "خلال ثلاثة تقييمات أجرتها اللجنة في لبنان والأردن وسوريا وجدت أن الاغتصاب هو السبب الرئيسي وراء فرار عائلات من البلاد"، داعية إلى معالجة هذه القضية بشكل عاجل.

وبحسب التقرير، فإن "العديد من النساء والفتيات تحدثن عن التعرض لاعتداءات في العلن أو في منازلهن، وبشكل أساسي من قبل مسلحين وحوادث الاغتصاب تلك، التي تكون أحياناً من قبل أكثر من جانب، غالباً ما تحدث أمام أفراد الأسرة". وقالت اللجنة كذلك إنها أبلغت باعتداءات تم فيها خطف نساء وفتيات واغتصابهن وتعذيبهن ثم قتلهن. وأوضحت أن الضحايا نادراً ما يبلغن عن العنف الجنسي نظراً للأعراف الاجتماعية ووصمة العار التي يلحقها الاغتصاب بالنساء والفتيات وأسرهن". كما عبرت عدد من الضحايا اللواتي قابلتهن اللجنة عن خشيتهن من التعرض للانتقام من قبل المعتدين أو للقتل على أيدي أفراد الأسرة التي "لحق بها العار"، أو أن يتم تزويجهن في سن مبكرة "للحفاظ على شرفهن"، بحسب التقرير. ووفقاً للجنة، فإن النساء اللواتي يهربن نتيجة للاعتداء يواجهن نقصاً في الخدمات الطبية والمشورة، إضافة إلى "ظروف غير آمنة في مخيمات اللاجئين ومستويات مرتفعة من العنف المنزلي".

وقدرت لجنة الإنقاذ الدولية عدد النازحين السوريين داخل البلاد بأكثر من مليوني مدني، ودعت إلى "زيادة عاجلة" لمساعدة الأسرة الدولية إزاء كارثة إنسانية هائلة ستكون بالتأكيد طويلة الأمد. وتابعت "لا بد من القيام باستعدادات لخروج جماعي للاجئين في حالة حدوث تصاعد مفاجئ في الأزمة". وقالت لجنة الإنقاذ الدولية، إن الوضع الإنساني الطارئ من الممكن أن يستمر سنوات وحثت الحكومات المانحة على المساهمة في مبلغ 5ر1 مليار دولار دعت الأمم المتحدة المجتمع الدولي إلى جمعه ومساعدة الدول المضيفة للاجئين على مواجهة الضغط الذي تتعرض له بنيتها الأساسية والحد من التوترات المتزايدة.

واتهمت اللجنة الحكومة السورية بتقييد دخول منظمات الإغاثة الدولية. وقالت إن من الضروري توسيع الشراكات مع منظمات الإغاثة السورية.

ضاقت الأرض السورية على السوريين، فهربوا من البرد والجوع والقتل والاغتصاب، حتى رأس النظام الذي لم يذق برداً ولا جوعاً هارباً من قدره المحتوم، نقلت جريدة "الوطن" عن مصادر استخباراتية، أن الرئيس السوري بشار الأسد، يقيم مؤخراً مع أسرته ومقربين محدودين منه على متن سفينة حربية في عرض البحر المتوسط، تحت حراسة روسية، وأبلغت المصادر "الوطن" بمعلومات، تفيد بأن "الأسد يتنقل من السفينة إلى الداخل السوري بواسطة مروحية، في حال كان لديه موعد لاستقبال رسمي، إلا أن أغلب إقامته تكون في السفينة وفق المصادر التي أرجعت الأمر لتوفير أجواء آمنة للرئيس الذي فقد الثقة في الطوق الأمني القريب منه. إضافة إلى أن ذلك يسرع خروجه وأسرته من البلاد فيما لو تطورت الحالة الأمنية وحقق الثوار تقدما مفاجئا نحو دمشق أو داخلها، وحاصروا القصر الرئاسي، كما ذكرت المصادر في تحليلها للأمر أن ذلك يعني أن الرئيس السوري بالفعل قد منح لجوءاً سياسياً من قبل موسكو، لكن بشكل غير معلن.

هذا وقد أعلنت وزارة الدفاع الروسية عن أن وحدات بحرية تابعة لأسطول البحر الأسود ستقوم بإجراء تمارين مناورة قرب شواطئ سوريا، في إطار ترتيباتها لتنفيذ مشروع تدريب كبير في شرق البحر المتوسط بمشاركة وحدات من الأساطيل الروسية الأخرى، وكشفت الوزارة في وقت سابق عن ترتيبات بدأتها القوات البحرية لتنفيذ مناورات وصفتها بـ منقطعة النظير في البحرين المتوسط والأسود نهاية كانون الثاني الجاري، وفقا لخطة تدريب القوات المسلحة.

وستتم المناورات بمشاركة وحدات من أربعة أساطيل هي، أسطول الشمال وبحر البلطيق والبحر الأسود والمحيط الهادئ، بهدف التدريب على تشكيل مجموعة من القوات خارج حدود روسيا ووضع خطة أعمالها وتنفيذها، وتعزيز قدرات ومهارات أفراد القوات البحرية. وقالت وزارة الدفاع في بيانها بأنّ مجموعة تكتيكية من وحدات أسطول البحر الأسود على رأسها طراد موسكو، ستقوم بإجراء تمارين المناورة في شرق البحر المتوسط.

وخلال المناورات يقبع رأس النظام في بارجته الروسية ويلعب ورقته الأولى والأخيرة "أمن إسرائيل" في رسالة ساذجة لإسرائيل، بأن حافظوا على حياتي لأحفظ أمنكم، فبحسب موقع "داماس بوست" القريب من النظام عن مصادر مطلعة أن الأسد قال: "إنه من المحتمل وضع خطة تنفذها أجهزة استخبارات دولية وإقليمية، ترتكز على تهريب نوع من الصواريخ الأميركية السرية إلى الأراضي السورية تعمل بتقنيات بسيطة لكن بقدرات عالية ودقيقة لاستهداف مقرات يحتمل أن يتواجد فيها الأسد".

وقالت المصادر إن الأسد قد أبلغ قادته العسكريين أنه في حال نجاح عملية من هذا النوع، وأدت إلى اغتياله، فإنه يمنح تفويضاً ميدانياً لكبار القادة في الجيش والاستخبارات بشن غارات صاروخية مستمرة تجاه أهداف داخل إسرائيل، وكذلك إطلاق صواريخ ضد قطع عسكرية أميركية وإسرائيلية في البحر الأحمر، والبحر المتوسط، وتعطيل حركة الملاحة الجوية فوق البحر المتوسط، عبر استهداف طائرات مدنية أوروبية.

لن نختم بالظلم والعذابات بل بيقين عند السوريين بأن أكبر المعارك نخوضها لا بالأسلحة وإنما ببسالة الضمير، وأن النصر بات قاب قوسين أو أدنى، وبأن المعركة حسمت، هذا ما ضجت به اللافتات التي رفعت في مظاهرات الجمعة الماضية، نختم بها مع كل الأمل وكل اليقين والقليل من الصبر..

«يا بشار، واللّه لو وضعت الشمس بيميننا والقمر بشمالنا، لن نتراجع عن ثورتنا حتى ينصرنا اللّه أو نهلك دونها».

«يا بشار شو ها لخطاب، علاك بعلاك»،

«ساقط يا بشار، بعون الجبار، وأرضك يا سوريا، صرخت للثوار».

«تتميّز الفقاعات بالصفاء والجمال والخفة. أهذا ما قصدته بالربيع العربي؟».

«حبات الثلج تتحدى فقاعات الصابون».

«الطريق إلى دوما غير سالكة بسبب تراكم الجيش الحر».

الشتات السوري

■ خالد كنفاني

بدأ الوضع في سوريا بثورة وتطور ليتحول إلى أزمة واليوم يصل إلى مرحلة النكبة. أكثر من ثلاثة ملايين مهاجر (أو مهجر) في الداخل السوري وأكثر من مليون في الخارج (وفق إحصاءات غير رسمية بطبيعة الحال).

يكاد عام 2013 أن يكون بالفعل عام النكبة السوري بما يوازي عام النكبة الفلسطيني عام 1948 أو أكثر، على الأقل نكبة فلسطين جاءت من أعدائها أما نكبة سوريا فقد جاءت ممن ادعوا حمايتها وحكمها وكذلك من "أصدقائها".

بات الخبر السوري في معظم نشرات الأخبار في المرتبة الثانية على سلم الاهتمامات الإعلامية، ولا يغير من ذلك وجود عشرات المراسلين الأجانب الذين يسيل لعابهم لإجراء التحقيقات الصحفية هنا وهناك في الداخل السوري مقابل عشرات ألوف الدولارات.

تجار الحروب ليسوا فقط من يبيعون السلاح على الجانبين وإنما هم أيضاً من يبيعون الكلام على الجانبين. يموت 82 طالباً كانوا يحلمون بأن يصبحوا مهندسين ليبنوا العالم بقصف أو انفجار أو قذيفة، لا فرق، "فالموتى سواسية أمام الموت" كما يقول محمود درويش، ولكن بائعي الكلام على الجانبين كانوا أسرع من الموت عندما "أكد شهود عيان وجود طائرة" بينما "أكد التلفزيون الرسمي وقوع تفجير إرهابي". ويدعمهم "أصدقاء سوريا" الذين يقفون حائرين عن عمد أمام هذا التراشق الإعلامي في بلد خرج من دائرة الضوء ليدخل أنفاق الظلام التي لا تنتهي.

كانت بعض المساعدات تكفي للقليل من العائلات المشردة والمهجرة هنا وهناك، غير أن النكبة السورية اليوم جعلت من المساعدات شيئاً رمزياً يعجز أمام هول المصيبة. بات الحديث اليوم عن مليارات الدولارات من الخسائر المادية ومئات الملايين المطلوبة لإغاثة هذا الشعب الذي طالما أغاث الآخرين. يموت الأطفال اليوم في مخيمات اللجوء لا لشيء إلا لأن "ملك الإنسانية" قرر "توطينهم" في صناديق خشبية بدلاً من الخيام لأن الأخيرة "أكثر دفئاً"، بينما يساهم على الجانب الآخر في "تقطير" الدعم العسكري والمادي على مبدأ "ساقية جارية" ولكنها ساقية دم سوري بريء لم تتح له الفرصة لتقرير مصيره بيده بعد.

"تعددت الأسباب والموت واحد" مقولة بات كل السوريين يفهمونها تماماً، فالموت بات يتربص بهم في كل حركاتهم وسكناتهم، فلم يعد من مكان آمن أبداً، وعلى العكس من كل مواثيق الشرف العسكري في التاريخ، ففي سوريا من دخل المخبز فهو ميت ومن دخل الجامعة فهو ميت ومن دخل المسجد فهو ميت ومن دخل المدرسة فهو ميت ومن دخل مقر عمله فهو ميت ومن دخل بيته فهو ميت. الموت لم يعد حدثاً طبيعياً تتكفل به البيولوجيا الطبيعية لتذكرنا كل فترة بأننا بشر نحيا ونموت بل تحول الموت إلى فعل مصطنع تكفلت به الوحوش البشرية لتذكرنا بأن بين البشر ذئاباً تفترس حتى في حالة الشبع.

الشتات السوري متعدد النكبات ومظاهره أقسى من أي تجمل. "هل تريد الزواج بسورية؟ حسناً ألف جنيه تكفي"، لم تعد هذه العبارة غريبة أو مستهجنة في كثير من دول الشتات السوري المتنامي، فكثير من الآباء باتوا يفضلون أن تتزوج بناتهم ولو بأية طريقة "ستراً" لهم وضماناً لعدم موتهم من الجوع. ورغم كل الحملات التنظيرية والمخملية عن رفض مفهوم السبايا إلا أن الواقع فرض نفسه بقوة وشراسة حيث يفضل الآباء إبعاد بناتهم عن أجواء المخيمات التي تتحول إلى قذارة أخلاقية واجتماعية يحمل الكثيرون بذورها ووجدوا في مناطق اللجوء سبيلاً لتنميتها. فالاغتصاب سواء في الداخل أو في الخارج بات أحد هواجس الآباء والأمهات ناهيك عن حالة الفاقة والتي دفعت بالكثيرين بالقبول بأية زيجة لتخفيف العبء المادي والنفسي الذي لا يوصف.

وبدأ الموت يتحول أيضاً إلى خيار شخصي بعدما ضاقت السبل وتبخر الأمل في أي مستقبل. يقرر شاب سوري الانتحار وترك عائلة مكونة من خمسة أشخاص بعدما عجز كلياً عن إعاشتهم، وتكفي الصور التي صورت مكان إقامة الشاب مع عائلته لتعطينا فكرة عن الحالة النفسية المتردية التي وصلت إليها هذه العائلة وخاصة بعدما سمع الشاب أن منزله في مخيم اليرموك قد تم تدميره بالكامل.

السوريون في الشتات لم يعودوا مجرد لاجئين، ولم يعد اقتصار المساعدات على الأغذية والأدوية كافياً، فالنكبة أصبحت نكبة قومية ووطنية عامة، ولهذا يجب ان تكون المساعدات بهذا الحجم، فإما إلى حسم عسكري خاطف ينهي معاناة السوريين أو إلى ترك السوريين لما يريدون بعيداً عن التوجيهات والإملاءات والدعم الكاذب.

غير أنه وبعد كل ما ذكرنا من معاناة السوريين في الشتات فإننا نجد من بات يستمتع بهذا الشتات ويرى فيه فرصة ذهبية قد لا تتكرر، ويأتي على رأس هؤلاء محدثو الثورة وثوار التويتر والفيس بوك الذين يشكل الشتات بالنسبة إليهم طريقاً للسياحة والشهرة والظهور الإعلامي "المجزي مادياً" ومعنوياً. لم يعد هؤلاء مكترثين بسقوط النظام من عدمه، فما يجمعونه اليوم عبر التسول باسم السوريين ودمائهم وأبنائهم له دور كبير في تنمية الثروة أو على الأقل كسب الأتباع، وهم يعلمون تمام العلم أن سقوط النظام يعني بالنسبة إليهم أن لحظة الحقيقة قد حانت وأن وقت العمل قد حان وانتهى عهد السفريات والفنادق وهو ما لا يريدونه بعدما اعتادوا الرفاهية في صالات المؤتمرات والاجتماعات الشكلية والبروتوكولية. إن سقوط النظام سيكون بمثابة ضربة لأحلام وطموحات هؤلاء وهم بالتالي غير عازمون على خدمة هذا الوطن الجريح لأنهم أساساً لا يملكون أية قاعدة شعبية ولا يملكون أي برنامج سياسي وإنما بضعة شعارات ضبابية وعمومية منفصلة كلياً عن الواقع. وهكذا تتلاقى المعارضة مع النظام في هذه النقطة أيضاً حيث يعيش كل منهما في كوكب آخر بينما يموت الناس يومياً ويتحولون إلى أداة للإحصاء الذي يتفاخر بعض الناشطين اليوم بإصدار برامج حاسوبية بطرق إظهار مختلفة "لمحاكمة" المجرمين فيما بعد حالمين ببقايا أمل في وجود عدالة في هذا العالم.

آخر الكلام، يقول الشاعر:

لا عيد لنا!
لا وطنياً، ولاحتى عالمياً!
غير عيد الاحتفال بسفك الدماء!
اللطمات، العزاء!
تكريم البكاء!

الوكيل بالعمولة في التشريع السوري

■ ياسر مرزوق

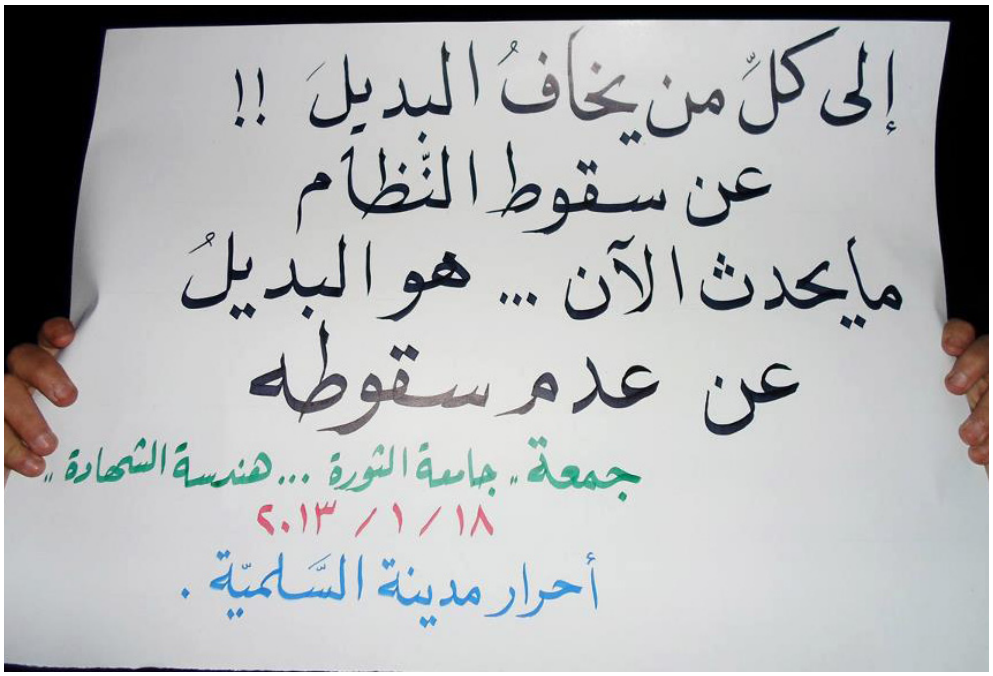

الوكيل بالعمولة هو الشخص الذي يتعهد بأن يعقد باسمه الخاص، ولكن لحساب موكله بيعاً وشراء وغيرهما من العمليات التجارية مقابل عمولة. ويعد الوكيل بالعمولة تاجراً لاتخاذه القيام بالأعمال التجارية لحساب الغير حرفة له. ويفترق الوكيل بالعمولة عن الوكيل العادي في أن الوكيل بالعمولة يجري التصرف المعهود إليه القيام به باسمه الشخصي ولكن لحساب موكّله، في حين الوكيل العادي يجري التصرف المعهود إليه القيام به باسم الموكل ولحسابه.

الوكيل بالعمولة وكما عرفه القانون التجاري السوري الجديد الصادر بالقانون رقم 33 لعام 2007 هو الذي يأخذ على نفسه أن يعقد باسمه الخاص ولكن لحساب موكله بيعاً وشراء وغيرهما من العمليات التجارية مقابل عمولة لذا يعتبر عقد الوكالة بالعمولة أحد عقود الوكالات التجارية بصفة عامة، ومن ثم فإنه يسري عليه ما يسري على هذه الوكالات من أحكام عامة، وبالإضافة لذلك فإن له أحكام خاصة نابعة من كون هذا العقد لا يتم باسم الموكل وإن كان ينسحب أثره إليه.

ينتج عن عقد الوكالة بالعمولة مجموعة من الالتزامات التي تقع على عاتق الوكيل بالعمولة، والتي يمكن تقسيمها إلى واجبات نقدية وواجبات غير نقدية.

الواجبات النقدية:

يقع على عاتق الوكيل بالعمولة مجموعة من الالتزامات والواجبات النقدية أو المالية والتي تنقضي إما بدفع المال للموكل أو الامتناع عن الدفع باسم الموكل، وبشكل عام ترتبط هذه الواجبات بكل ما له علاقة بالحساب المالي بين الوكيل بالعمولة والموكل، ويمكننا حصرها فيما يلي:

أولاً عدم الإقراض والتسليف:

لا يجوز للوكيل بالعمولة إجراء أي عملية إقراض أو تسليف للغير بدون رضا الموكل ولم يشترط المشرع هنا الإجازة الخطية كما فعل في اشتراطه لجواز تعاقد الوكيل بالعمولة مع نفسه وذلك على ما يبدو وقع سهواً أثناء النقل من التشريع القديم لأنه لا يوجد ما يبرر اشتراط المشرع الكتابة لجواز تعاقد الوكيل بالعمولة مع نفسه والاكتفاء برضا الموكل في عمليات الإقراض والتسليف التي يجريها الوكيل.

وإذا قام الوكيل بالعمولة بذلك بدون رضا الموكل كان مسؤولاً وبشكل مباشر أمام الموكل عن المال الذي تم إقراضه، وأما فيما يخص بحق الوكيل منح الآجال والأقساط، وفي ظل غياب النص في التشريع السوري فنعتقد أن حق الوكيل في ذلك يندرج تحت واجب الوكيل بعدم الإقراض والتسليف نظراً لوحدة العلة في الحالتين ألا وهي الضرر المحتمل، وبالتالي لا يحق للوكيل بالعمولة منح الآجال والأقساط في الصفقات التي يجريها لحساب الموكل.

ثانياً تقديم الحسابات:

يلتزم الوكيل بالعمولة بتقديم حسابات عن وكالته يوضح فيه ما تم من صفقات وما للبائع من رصيد أو بضائع مستحقة وكذلك عمولة الوكيل المستحقة، فعلى الوكيل أن يوافي الموكل بالمعلومات الضرورية عما وصل إليه في تنفيذ الوكالة وأن يقدم له حساباً عنها وأن يكون هذا الحساب مفصلاً وشاملاً لجميع أعمال الوكالة مع المستندات وأن يرد للموكل ما في يده من مال".

ثالثاً دفع الفوائد:

تفرد المشرع السوري بوضع نص خاص يلتزم الوكيل بالعمولة وفقاً للمشرع السوري بدفع فائدة عن الأموال العائدة للموكل اعتباراً من اليوم الذي كان يجب عليه تسليمها أو إيداعها وفقاً لأمر الوكيل.

الواجبات غير النقدية:

يقع على عاتق الوكيل بالعمولة مجموعة من الالتزامات التي لا تنقضي إلا بتنفيذها من قبل الوكيل، ويمكننا حصرها فيما يلي:

أولاً: تنفيذ العمليات القانونية المكلف بها.

يجب على الوكيل بالعمولة تنفيذ العمليات القانونية التي كلف بها وفق تعليمات وتوجيهات الموكل وبشخصه ولا يجوز للوكيل بالعمولة إنابة شخص آخر للقيام بالصفقة إلا إذا كان مسموحاً له ذلك بحسب اتفاقه مع الموكل، أو كان العرف يسمح بذلك، أو إذا كانت هنالك ظروف تضطره لهذه الإنابة كحالة وجود حرب في بلد البائع مصدر البضاعة وعدم قدرته على إبرام الصفقة.

ثانياً: عدم جواز تعاقد الوكيل بالعمولة مع نفسه وعلة المنع وجود التعارض بين مصلحة الموكل ومصلحة الوكيل بالعمولة الذي سيميل لمحاباة نفسه على حساب الموكل.

ثالثاً التصريح عن الوكالة والعملاء: لقد سكت المشرع السوري عن تنظيم هذا الالتزام في القانون التجاري السوري الجديد وكذلك كان الحال في القديم، وعليه سنضطر للعودة إلى القواعد العامة في القانون المدني السوري والتي تنظم النيابة باعتبار الوكالة أحد أشكال النيابة، وبالعودة للقواعد العامة يتضح لنا أنه لا يوجد ما يلزم الوكيل بالعمولة بالتصريح عن اسم موكله وجل ما هو مطلوبٌ منه أن يصرح أنه يتعاقد لحساب الغير، وكذلك لا يوجد ما يلزم الوكيل بالعمولة أن يصرح عن أسماء عملائه للموكل.

التزامات الموكل:

1ـ دفع العمولة: يستحق الوكيل بالعمولة أجراً يدفعه الموكّل ويطلق على هذا الأجر عمولة. ومقدار العمولة قد يكون متفقاً عليه أو يتحدد وفقاً للأعراف السائدة في هذا المجال، والغالب في العمل أن يتحدد مقدار العمولة بنسبة مئوية من القيمة الإجمالية للصفقة.

2ـ رد النفقات: يتحمل الوكيل بالعمولة بسبب تنفيذ العمل الذي أوكل إليه القيام به بعض النفقات والمصاريف كنفقات النقل والشحن والخزن والتأمين والرسوم، كما أنه قد يدفع من حسابه ثمن البضائع التي كلفه الموكل بشرائها. فمن واجب الموكل أن يرد للوكيل بالعمولة جميع ما أنفقه في تنفيذ الوكالة التنفيذ المعتاد مع الفوائد من تاريخ الإنفاق.

العلاقات القانونية الناشئة عن الوكالة بالعمولة:

1ـ العلاقة بين الموكّل والوكيل بالعمولة: تخضع العلاقة بين هذين الشخصين لأحكام عقد الوكالة [ر] المبرم بينهما ويترتب على ذلك أن آثار العقود التي يبرمها الوكيل بالعمولة لا بدّ أن تعود بالنهاية إلى ذمة الموكل.

2ـ العلاقة بين الوكيل بالعمولة والغير: إن الوكيل بالعمولة الذي يتعاقد باسمه الخاص يكتسب جميع الحقوق الناشئة عن العقد ويكون ملزماً مباشرة نحو الأشخاص الذين تعاقد معهم كما لو كان العمل يختص به شخصياً، ويحق لهؤلاء الأشخاص أن يحتجوا في مواجهته بجميع أسباب الدفع الناجمة عن علاقتهم الشخصية به ولا يحق لهم أن يخاصموا الموكل مباشرة.

3ـ علاقة الموكّل بالغير: بما أن الوكيل بالعمولة حين يتعاقد مع الغير يتعاقد باسمه الشخصي فذلك يعني أن الموكل يبقى شخصاً أجنبياً بالنسبة للغير ولا تنشأ بينهما أي علاقة قانونية مباشرة، لذلك فليس للغير أن يطالب الموكل بتنفيذ الصفقة التي أجراها مع الوكيل بالعمولة، كذلك ليس للموكل مطالبة الغير بذلك، يستثنى من هذه القاعدة الحالة التي يصبح فيها مركز الموكل مهدداً عليه حين يفلس الوكيل مثلاً قبل أن يكون الغير قد دفع ثمن الصفقة المبيعة، فهنا ليس للغير مصلحة في التمسك إزاء الموكل بعدم جواز مطالبته له مباشرة.

المنسى السوري.. المنساة السورية

■ ياسين الحاج صالح

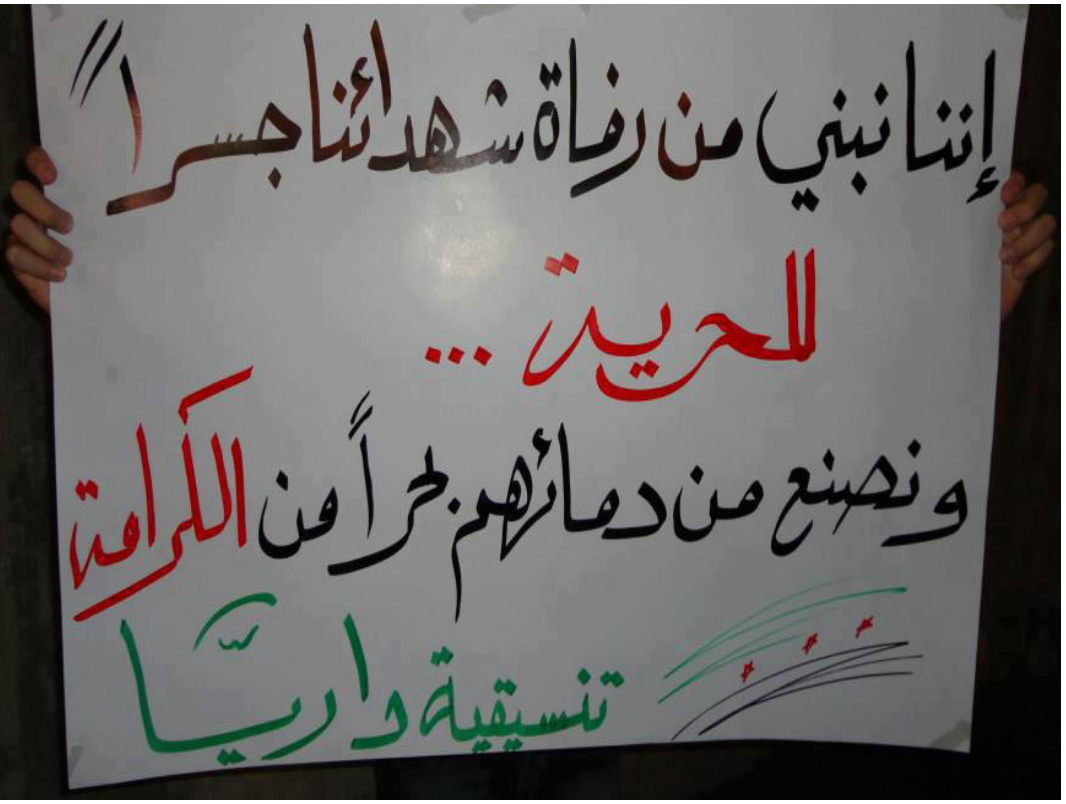

المنسى بلاد ووضع ونظام سياسي.

إنه موطن النسيان العام، الأرض التي تكون فيها منسيًا، لا شأن لك، لا يحس بك أحد ولا يذكرك أحد (غير ذويك وأخصّائِك).

وهو وضع المحرومين من الذكر العام، من لا يتكلم عنهم أحد أو يشعر بهم أحد، بينما هم يتألمون أو يموتون. المنسى، بالخصوص، حال من يهانون ويعذبون ويقتلون في سياقات عامة، دون شهود ودون رواية، ودون تكريم. وهذا بخاصة في زمننا الراهن الذي يستطيع توفير سجلات وصور ومعلومات مباشرة أكثر من أي وقت سبق، لكنه ينتج من التجاهل والمهانة والإهمال الكثير أيضا.

ومثل السجن والمنفى، المنسى وضع سياسي، إنه نتاج سياسة إنساء، حرمان من القول والحضور، أو فرض المجهولية على قطاع من السكان أو على جميعهم.

بفضل الثورة الاتصالية لم يكد يبقى ثمة منفيون ومناف اليوم. المنسى هو المنفى المعاصر، والمنسيون هم المنفيون. منفيون داخل بلدانهم، لكن خارج الذكر العام والمجال العام، لا يعترف بهم ولا يُروْن، ولا يفكر بهم أحد، ولا تُسجّل سيرهم ولا تروى قصصهم، ولا تسمع أصواتهم، ولا تحفظ صورهم.

حماة

ضحايا حماة السورية عام 1982 سقطوا في لجة المنسى التي كانتها سوريا كلها في ذلك الحين. كان مواطنوهم يذهبون بالألوف إلى السجون والمنافي، لكن كان مصيرهم هو الأقسى بإطلاق. عُذبوا وقتلوا، واغتصبت نساء، ودمرت البيوت ونهبت الأملاك، ولم يُروَ شيء من ذلك في وقته أو يُذكر. ليس هناك مواد مصورة مزامنة، ولا تكاد توجد شهادات حية. كتبت أشياء في أوقات لاحقة، لكنها قلما تقدم روايات شخصية أو سيرا مرتبطة بأوقات محددة وأماكن بعينها وأسماء ووجوه. عبر حال المنسى، قُتِلوا مرتين، مرة في المذبحة في شباط 1982، ومرة بحرمانهم من الذكر العام واعتبارهم ضحية جمعية لا ملامح لها.

كان الغرض من هذا العقاب الوحشي صنع ذاكرة خوف ومنعكسات خوف مناسبة. الوجه الآخر للمنسى العام هو الذكر الخاص، أن تبقى المقتلة في ذاكرة الناس، لا ينساها أحد، لكن أن يتداولوا الكلام في شأنها همسا وفي نطاقاتهم الخاص. بهذا يصان مفعولها الترويعي كهوْل غير محدد، كواقعة شبحية رهيبة لا شكل لها، ولا يمكن استيعابها. كان من شأن التداول العام بشأنها أن ينظمها ويحددها، فينزع طابعها الشبحي، ويجعل منها واقعة تاريخية قابلة للفهم، بلا "سحر" ولا هوْل.

لكن في المجال العام، مذبحة حماة لم تقع.

العالم

المنسى نتاج تحولين خاصين بالعالم المعاصر.

أولهما أنه لم يعد ممكنا لأحد أن يعيش خارج الدولة، "مكتوما"، وتاليا لم يعد ممكنا وجود ألم خاص. آلام الناس اليوم عامة وسياسية، ما يقضي بأن يعترف بها بهذه الصفة، وأن تشكل السياسة بحيث تنتج أقل الألم.

والتحول الثاني يتمثل في أن السياسي هو ما يُظهر ويُعرض ويُروى، ويوضع بين يدي الجمهور، أو في متناول الانتباه العام. وبما أن الألم سياسي، وبما أنه مهم، بل هو المهم (أكثر من أخبار الرؤساء والملوك وأقوالهم)، فينبغي أن يُعرض ويعمم كي يطلع عليه الجميع ويتحملون المسؤولية حياله.

ثم إن الذكر (التذكر والرواية) لم يعد فعلا نفسيا أو تراثا محليا. إنه اليوم فعل "موضوعي"، مجسد في مؤسسات وممارسات عامة، وهو أيضا فعل سياسي وصراعي، تحاول الدول التحكم به والسيطرة عليه. وفاعل الذكر مجتمعات كبيرة ودول، والعالم. ومثله النسيان. ليس النسيان غفلة أو سهوا أو مجرد نقص في التذكر. إنه فعل منظم ومتعمد، وسياسي أيضا.

الحمويون قبل جيل أصابهم ألم سياسي جدا، ومنع هذا الألم من أن يُذكر، بل أسدل عليه ستار من النسيان بجهد سياسي منظم.

كان هذا حال السوريين جميعا بدرجات أقل فداحة. كانت سوريا منسى. وكان نظامها منسى، جهاز لمنع الذكر العام ولقمع الذاكرة والرواية.

الطغيان

عموماً الطغيان عدو للذاكرة، لا يريد أن ترى سيرته لأن كل سيرة تتضمن التحول والنقص والزوال أو الموت، وهو ما لا يطيقه الطغيان المنشغل بتأبيد الحاضر. ولا يريد أن يروي المحكومون سيرهم الخاصة، لأن هذا يعني امتلاك القول الشخصي والشوق الخاص والذات المستقلة، مما هو انتهاك لأساس الطغيان: لا قول غير قوله، ولا فعل غير فعله، ولا نزوع غير نزوعه، ولا أنا مستقلا إلا أناه.

لذلك الطغيان هو المنسى. حالة مكتومية سياسية عامة. ولذلك الثورة على الطغيان خروج من الغمر ومن النسيان. من المكتومية السياسية إلى مجتمع الذكر.

من السجن أيضاً، ومن المنفى.

بما هي انفجار اجتماعي، الثورة حالة "فجور" سياسي، انتهاك للنسيانات المفروضة، وهتك للحجب السياسية المسدلة على وجه المجتمع ولسانه.

و"أبطال" فجورنا اليوم هم الذاكرون، مقاومو النسيان، بخاصة أولئك "المراسلون المواطنون"، الذين يصورون قصص السوريين ويدونونها، ويتيحون فرص الكلام لمواطنيهم. يحطمون جدران المنسى الأسدي.

الثورة

خلافا لحماة قبل أكثر من ثلاثة عقود، الثورة السورية اليوم تسجل نفسها أولا بأول، تدون يوميات فجورها على يد أولئك "الأبطال". لم تعد سيرة الموت السوري اليوم أسيرة النفوس والنطاقات الخاصة الضيقة. صارت تجد دربها أولا بأول إلى الذكر العام.

لكن لا ريب أنه تضيع قصص كثيرة جدا، وتحال إلى النسيان آلام وفجائع لا تحصى. وبقدر ما إن رهان الثورة هو أن يكون لكل فرد قوله، وأن يتمكن من رواية قصته بنفسه، فإن رهان الثورة الواجب هو أن تستخرج من المنسى الحكايات التي طويت والفجائع التي لم ترو، هذا بقدر ما إن الثورة لا تكتمل دون خروج جميع من هم في السجن، وعودة جميع من هم في المنفى (إن شاؤوا).

المذْكَر

يخرج السجناء إلى عالم حرموا منهم ويستعيدون حرية فقدوها، ويعود المنفيون إلى "الوطن"، ما هو العالم المقابل للمنسى؟ ما هو "المَذْكَر"؟ ذاكرة من هي التي يجب أن تسترجع سير المنسيين وصورهم؟ لا تكفي ذاكرة الأسرة والأصدقاء والجماعة الصغيرة. المنسى وضع

سياسي كما سبق القول، والذكر ينبغي أن يكون سياسيا. الذاكرة والنسيان فعلان عاما وسياسيان اليوم كما سبق القول أيضا.

الذاكرة المعنية هي أولا الذاكرة الوطنية. ووسائل التذكر هي السجلات الوطنية والمتاحف، وقبل الكل وسائل الإشهار العامة: الصحف والإذاعات والشاشات ومواقع الانترنت، وكذلك النصب التذكارية والمسارح والسينما..

خلال حكم حافظ الأسد ووريثه كانت سوريا "مَذْكرا" حصريا للأب وسلالته، بقدر ما هي منسى عام لجميع السوريين. خاضت سوريا حروبا عديدة، لكن ليس هناك شهيد واحد بملامح شخصية، غير ابن حافظ الأسد الذي مات في حادث سيارة. ولم يحصل أن كُرِّم مثقف أو فنان سوري إلا إذا كان مواليا، أو متخليا عن أي دور عام مستقل.

لطالما كان المنسى السوري بمثابة إعدام سياسي، أو محو من الذكر العام (العلني و"على رؤوس الأشهاد"). الأشهاد اليوم هم "المواطنون" جميعا. ويسهل الإعدام السياسي المحو والإبادة الفعليين.

ومقابل هذا الإعدام هناك حياة مضاعفة وحضور مضاعف ومفرط لحافظ الأسد ثم وريثه. كأن خلاصة كل الحيوات التي أحيلت إلى النسيان رُكزت في حياتيهما.

من السمات الجوهرية للنظام الأسدي احتكار المجد لشخص واحد وأسرة واحدة. يتسامح بـ"الشهرة" و"النجاح" اللذين تدرهما وسائل الإعلام الجماهيرية على فنانين ورياضيين، لكن حتى هنا الأمر مشروط دوما بالولاء. أما "المجد"، بمعنى اقتران الشهرة بالحرية والدور الاجتماعي المستقل، فهذا محظور بتاتا. لم يكن يطاق حتى مثقف مُتلوّن مثل نزار قباني، رغم أو لأنه كان حَائزا على شعبية حقيقية، لا تدين للنظام البعثي بشيء. المثقفون السوريون الآخرون عاشوا في المنفي أو مارسوا رقابة ذاتية متشددة.

المجد للحاكم وحده. صدام حسين، وهو شبيه لحافظ الأسد، لكن "متجه نحو الخارج"، سمّى نفسه "المجيد" بعد كارثة 1991.

المنساة

المنساة السورية هي السيرة الغائبة والصوت الغائب أو المنسي للسوريين خلال الحكم الأسدي بخاصة. وهذا الغياب هو أحد أوجه المأساة السورية وإحدى أدواته. من السهل حبس المغمورين، من لا ذكر لهم، ليس صعبا قتلهم، من يبالي بتعذيبهم والتنكيل بهم وإهانتهم؟

كان التحكم بحركة المعلومات في عهد الطاغية الأب شبه كامل، ولطالما ضاعفته وكالات التزييف أو الذكر الكاذب في الداخل السوري، وفي لبنان الذي جرت السيطرة عليه طوال ثلاثة عقود. ولطالما وجد النظام بعض الصعوبة في اعتقال أشخاص مذكورين (عمر أميرالاي، ممدوح عدوان، برهان غليون،.. من بين المعروفين الذين تعرضوا لـ"مشكلات أمنية"). صفتهم كمعروفين تشكل حماية نسبية لهم، وتضمن أن تروى قصصهم إن تعرضوا للاعتقال وما هو أسوأ منه.

الذّكر

هذا الجانب من الواقع السوري يساعد في تصور ما ينتظر من الثورة، أو ما يتعين أن يكون معيارا للحكم على ما تحقق. غير رواية السير السورية كلها، يلزم امتلاك أدوات الذكر العام التي سبقت الإشارة إليها من قبل المجتمع. ليس لها أن تكون أدوات إشهار وتمجيد لفرد أو عائلة أو حزب. ليس لحاكم أو حزب احتكار الذكر العام وأدواته لأنهما من أدوات السلطة والنفوذ الحاسمة.

في زمننا الحاضر، هذه الأدوات بأهمية الكتابة قبل خمسة آلاف سنة. الحرمان منها هو بمثابة فرض للأمية على المحرومين. أمية الذكر العام.

الأهم على كل حال أن يتملك المجتمع أدوات الذكر وإنتاج الذكر (كما تملك الكتابة وأدوات إنتاجها)، بما فيها امتلاك الفضاء العام. الذكر هو التذكر والرواية، أن نتذكر وأن نروي ما نتذكر. أن نشهد.

التخلص من نظام المنسى لا يكفي بحد ذاته من أجل التحرر. يلزم استحضار المنساة السورية بأكبر قدر من التفاصيل المضبوطة، ووضعها بين أيدي المعنيين، السوريين.

الخروج من المكتومية هو عنوان لثورة اجتماعية يمتلك فيها الأفراد والجماعات أسماءهم وصورهم وسيرهم، وأدوات تعميمها. هذا جانب أساسي من الثورة السورية لا يقل أهمية عن الجانب السياسي. وهو يساعد في نصب حواجز تحول دون الطغيان. مجتمع المغمورين المجهولين النكرات هو المجتمع الذي يمكن أن يتحكم فيه الطغيان. يصعب فعل الأمر نفسه في مجتمع المذكورين، الذي يتملك أفراده شخصياتهم وقصصهم.

لكن هل تحتمل سوريا أن تكون "مَذْكرا" تاما؟ أن يُفتح باب الذكر على سعته للجميع؟ نعلم أن مما قد يُذكر ما يثير السوريين ضد بعضهم، وبعض ما نراه اليوم هذا المفعول.

يحتاج الأمر إلى نقاش مفتوح. المبدأ هو حق الذكر للجميع، لا يجوز تقييده إلا في أندر الحالات. ونتصور أن حرية الذكر، بما فيها حرية النقاش العام، تصلح مشكلاتها. وأن التقييد، وإن لمصلحة عامة تبدو وجيهة، يفتح باب التسلط والرقابة. والأمية.

العالم

الثورة السورية قد تكون أول مأساة عالمية غطت نفسها بصورة واسعة وواعية جدا، ربما ثأرا من المنسى الأسدي، من تحالف المأساة والمنساة ضد السوريين في جيل سبق. دسّت الثورة صورها وقصصها تحت أنوف العالم ككل، ووضعت سوريا على رأس قائمة الكفاح العالمي من أجل الحرية والذكر، فارضة على العالم أن ينتبه ويصغي.

لا تزال الاستجابة محدودة بعد نحو عامين من الكفاح، وهي تبلغنا أن هناك خللا فادحا في نظام الذكر العالمي، إن جاز التعبير. أن في العالم مناسي واسعة، صحارى يغيب فيها الذكر والتذكر، أن بلدنا الذي ولدت فيه الأبجدية أحد هذه الصحارى. وأن النظام الدولي الذي لا تكف الثورة عن تذكيره شريك للنظام الأسدي الذي جعل البلد منسى.

وما سبق قوله عن أن التذكر والنسيان فعلان عاما وسياسيان، هو اليوم واقعة عالمية أكثر وأكثر. ليس هناك مجتمعات تعيش خارج العالم. وتاليا إن ما ينسى وما يذكر مرتبط بنظام العالم اليوم، وليس بالنظم السياسية المحلية وحدها. في هذه الحيثية يمكن القول إن العالم اليوم يشبه المنسى الأسدي أكثر مما يشبه أي بلد ديمقراطي، في الغرب أو غير الغرب. ويمكن تعريف الديمقراطية، في هذا السياق المحدد، بأنها الترتيب السياسي الذي يتيح لأكبر عدد من الأفراد الذكر العام، التذكر والرواية "على رؤوس الأشهاد".

الذاكرات الوطنية لم تعد تقبل العزل عن بعضها. وأحد ميادين الكفاح اليوم هو التملك المتساوي للذكر والمساواة بين الذاكرات أو الشهادات. ظاهر اليوم أن الذكر والذاكرة الأميركية مهيمنان عالميا، وذكر الغرب وذاكراته قوية الحضور. والذاكرة والذكر الإسرائيليين ربما يكونان الأقوى عالميا. إسرائيل هي الحالة القصوى للامنسى، للمذكر. إنها تشغل في العالم الموقع الذي كان يشغله حافظ الأسد في سوريا.

بالمقابل، تشكل بلدان بأكملها مناسي عالمية، منها بلدنا.

المستقبل اللبنانية 20 / 1 / 2013

عالم السدود والقيود د.عباس محمود العقاد

كتب عباس العقاد مصوراً مشاعره، ومشاهداته في سجن مصر في هذا الكتاب، وقد لخص موضوعه ومنهجه في مقدمته إذ يقول: «هذه الصفحات هي خلاصة ما رأيته وأحسسته، وفكرت فيه يوم كنت أنزل «عالم السدود والقيود»، وأشعر ذلك الشعور، وأنظر إلى العالم من ورائه ذلك النظر: لست أعني بها أن تكون قصة، وإن كانت تشبه القصة في سرد حوادث، ووصف شخوص، ولست أعني بها أن تكون بحثاً في الإصلاح الاجتماعي، وإن جاءت فيها إشارات لما عرض لي من وجوه ذلك الإصلاح، ولست أعني بها أن تكون رحلة، وإن كانت كالرحلة في كل شيء، إلا أنها مشاهدات في مكان واحد، ولا أن أستقصي كل ما رأيت وأحسست، وإن كنت أقول بعد هذا إن الاستقصاء لا يزيد القارئ شعوراً بما هناك، وأنه لا فرق بينه وبين الخلاصة إلا في التفصيل والتكرير، وإنما دعوي هذه الصفحات - بل خير دعواها - أنها تتكفل للقارئ بأن يستعرض عالم السجن، كما استعرضته دون أن يقيم هناك تسعة أشهر كما أقمت فيه».

والحقيقة أن العقاد كان موفقًا - إلى أبعد حد - في تصوير عالم السجن في هذه الصفحات: صورة أخلاق النزلاء، وأساليبهم في التعامل والتهريب، ولغاتهم الخاصة التي لا يفهم غيرهم رموزها، كما صوّر السجن والقائمين عليه من رجال الضبط والربط.

ولعل براعة العقاد في التصوير لم تظهر ظهورها في تحليله الرائع لأربع شخصيات نموذجية من أربعة آلاف إنسان تحويهم جدران السجن: أحد هؤلاء: مجنون يتنازعه السجن والبيمارستان. والثاني: مجنون أيضا، ولكن على طراز آخر من الجنون. والثالث: مقعد مبتور الرجلين إلى الفخذين. والرابع: خليط من الجنون والعربدة والمكر والدماثة المصطنعة والجموح الصحيح.

وأبرز هذه الصور صورة الكسيح القعيد الذي يمشي على خشبة ذات مكرّ، يدفعها بمقبض في كلتا يديه، كما يدفع السابحون زوارق الحمام. ولا يخاف السجناء مجنوناً في ثورته، كما يخافون ثورة هذا المقعد الكسيح. والرجل لا يثور ثورته مهتاجاً مغلوباً على أمره، كما يثور الغاضب المحنق، أو الطائش الأحمق.. كلا فإن الرجل ليثور لأنه يريد أن يثور، بل محتاج أن يثور، فثورته في كل مرة لا تأتي إلا بروية وتدبير وتقدير.

وهذا الكتاب يدخل تحت مظلة «أدب السجون» في العصر الحديث، وهذا النوع من الأدب له جذوره الشعرية، بخاصة في العصر الجاهلي، وله امتداداته على مدار التاريخ.

مؤلف الكتاب: عباس العقاد

نوع الكتاب: سيرة ذاتية

دار النشر: منشورات المكتبة المصرية

تاريخ النشر: 1937

مكان النشر: صيدا لبنان

حوارية ثلاثية: الطفل وأنا

■ ليلى النردي - دمشق

- 1 -
جميل

الظلام الدامس يخيم على الشارع في "برزة" دوناً عن باقي أحياء دمشق.. فالمنطقة المعاقبة تطفأ أنوار شارعها ليلاً، مما يعني بطريقة أو بأخرى إنذار بعدم التجول أو التظاهر.. أقود سيارتي بتمهل، وأنا أتأمل هذا الشارع الموحش المقفر، نظرت إلى الساعة إنها التاسعة والنصف فقط، لكن الشارع يوحي بأن الوقت بعد منتصف الليل.. في إحدى الأزقة رأيتهم.. إنهم الشبيحة ومن دون أن أشعر دست على البنزين.. الهروب حتى لو كنت بريئاً هذا ما يحدث عندما ترى الشبيحة، لكن الإشارة الحمراء كانت بالمرصاد توقفت وأنا شاردة في الفعل الذي قمت به، لماذا دست على البنزين.. لماذا شعرت بالخوف.. جاوبت نفسي وبسرعة لأنهم حقاً مخيفين، قطع شرودي طفل نحيل اسمر يضرب زجاج سيارتي ومعه ولد آخر ممتلئ ذو وجه دائري..

ما إن فتحت شباك السيارة حتى قال الطفل وبلهجة حمصية بتنا خبراء بها: "خالي معلش تساعدينا بأي شي نحنا من حومص"

ليست المرة الأولى التي أرى فيها طفلا يتسول، لكنها المرة الأولى حتما التي أرى فيها طفلا حمصيا يتسول في دمشق..

سألته فوراً وبغباء آبية التصديق: أنت من حمص؟

اقسم لي أنه من حمص.. الإشارة الضوئية أصبحت خضراء، طلبت منه أن يلحق بي لأنني سأنتظره بعد الإشارة.. قطع الشارع باتجاهي مسرعا، من شباك السيارة طلبت منه الركوب معي لم يتردد وصعد صديقه ذو الوجه الدائري معه، الاثنان ركبا في الخلف لا أعلم لماذا حتى الآن..

سألته: أنت من وين من حمص؟

- من البياضة..

تذكرت كل مظاهرات البياضة التي رأيتها على التلفزيون، وبدأت أتمعن في وجوههم ترى هل رأيتهم في أحدى المظاهرات..

- شو أسمك؟

- جميل..

- وين ساكنين يا جميل؟

- بالتل..

الفقراء يستقبلون الفقراء هذا ما قلته في نفسي

- ليش تركتوا البياضة؟

- لأنو فات الجيش..

في الإعلام السوري كان الجيش يدخل المدن نتيجة طلب الأهالي والخبر يكون كالآتي "أهالي البياضة يناشدون الجيش بالدخول "

سألته عن عمره..

- 10 سنين..

- أنت بالمدرسة؟

- إيه، بس بالصيف بشتغل مع أبي..

- شو بيشتغل أبوك؟

- بالحديد..

- وأبوك إجا معكون عالشام؟

- لا أبي مات قبل ما نجي..

- كيف مات؟

- اتقوص..

- مين قوصو؟

صمت وارتبك ثم قال: - ما بعرف..

لمت نفسي على السؤال لو كنت مكانه لما أجبت.. فمن المخيف والمرعب الحديث عن القاتل في بلدي..

- اللّه يرحمو..

- ابتسم لي قائلا: نحنا مو شحادين.. بس لأنو أنا الكبير وعندي أمي وأخين صغار وما عم لاقي شغل..

الكبير ذو العشر سنوات يحمل مسؤولية عائلة، ويعاني من البطالة..

- بعرف أنكون مو شحادين..

- ما حدا عم يرضى يشغلني قال نحنا الحماصني زعران منعمل مشاكل..

- أنتو أحسن ناس..

ابتسم ممتناً

- بتعرف الساروت؟

- مين الساروت؟

تعجبت هل من المعقول طفل من البياضة لا يعرف "الساروت"!

- عبد الباسط ساروت ما بتعرفو؟

ابتسم وجهه وأشرقت عيناه وبكل تأكيد أجابني:

- أييه عبد الباسط

إنه يعرف عبد الباسط باسمه الأول ليس مثلي.. الساروت أو عبد الباسط ساروت علاقتي به رسمية من التلفزيون فقط..

- كنت تطلع بالمظاهرات؟

بفرح أجابني: - كنت دايماً بالمظاهرات الكل كانوا يجوا

- كنت شوفكون عالتلفزيون..

- عن جد!! أيه كل يوم كنا نتظاهر وعبد الباسط يغني،، بتعرفي انو عبد الباسط كمان بيشتغل بالحديد..؟

- لا واللّه ما بعرف.. ليش فات الجيش ع البياضة؟ شو عملتوا؟

- ما عملنا شي نحنا بس عم نتظاهر ونغني..

- أيه ليش فات إذا بس عم تتظاهروا وتغنوا، العمى على هالجيش شو ندل..

جملة العمي على هالجيش شو ندل طمأنته وقرر أن يبوح بسره: - لأنو بالبياضة ما بيحبوا ل بشار والجيش بيحب بشار..

بشار أصبح اسمه في البياضة بشار، في دمشق كان اسمه الرئيس حتى المتظاهرين كانوا يقولون الشعب يريد إسقاط النظام، إعدام الرئيس، في البياضة جُرِدَ بشار من لقبه..

- يعني الجيش هو اللي عم يقتل؟

- هز رأسه بحزن..

- طيب أنتو ليش ما بتحبوه لبشار؟

ارتفعت نبرة حديثه وبحدة أجابني:

- ما منحبو هيك.. بدنا نحبو بالإجباري

- لا لا تحبوه بالإجباري.. بس ليش صرتوا ما بتحبوه شو السبب شو عمللكون؟

بنفس النبرة الحادة:

- ما منحبو هو مو منيح عم يقتلنا هو وجيشو وبدو نحبو بالإجباري ما رح نحبو.

- طيب أنت عم تحكي هيك قدامي مو خايف.؟

- لا مو خايف.

- بركي طلعت أنا بحبو لبشار؟

بذكاء وبفطرة أجابني:

- لا البنات ما بيحبوا لبشار.

أضحكتني جملته..

- كيف عرفت انو البنات ما بيحبوا لبشار؟

بثقة كاملة: بعرف.

- كيف؟

- بس الجيش بيحب بشار.. الجيش والأمن والشبيحة.. البنات كويسات ما بيحبوا اللي بيقتول.

- طيب هون ببرزة مليان شبيحة وامن ما بتخافوا منون؟ وعم يصير كتير قواص ما بيصير اتضلوا بالشارع لوقت متأخر..

- منشوفون للشبيحة ما بيقربوا علينا منضحكلون ومنرفعلون ايدينا (علامة النصر) ما بيفهموا هدول الشبيحة جدبان بيفكرونا معون..

ضحكت مرة أخرى..

- حبيتوا الشام؟

- لا ما حبيناها البياضة أحلى..

- ايمتا راجعين عالبياضة؟

- قربت انشاللّه هيك قلي عمي..

- شو قلك عمك؟

- قلي بس يروح بشار بنرجع البياضة.

- ليش قرب يروح بشار هيك قلك عمك؟

- لا هو ما قلي بس أنا هيك بقول قرب ينقلع..

في البياضة جُرِدَ بشار من لقبه، وطرد من منصبه أيضا..

- بدو يهرب؟

- ازا هرب بدنا نجيبو.

- لوين بدك تجيبو؟

- لهون..

- ليش؟

- مشان نشنقو.. اللي بيقتول بينشنق..

في البياضة جُرد بشار الأسد من لقبه، وطرد من منصبه، وحوكم..

الأطفال في سوريا كانوا السباقين منذ البداية..

- 2 -

راما

الصباحات في دمشق أصبحت مختلفة، تشبه الليل في أصوات الانفجارات والرصاص، يزيد عليها ضجيج النهار والسيارات.

الساعة الثانية ظهراً تأخر النجار تلفونه مغلق، موعدنا كان قبل ساعتين، ذهبت باتجاه النافذة الأصوات مازالت مستمرة وأعمدة الدخان الأسود تحيط بالمدينة هل هذا الدخان من سقبا هل "أبو وائل" بخير ازداد توتري وقلقي، قطعه صوت الجرس ركضت باتجاه الباب إنه أبو وائل وابنته الصغيرة دخل ومعه حقيبة المعدات، اعتذر مني على التأخير وأقسم أنه خرج من بيته العاشرة صباحاً عرّفني على ابنته " راما" ذات الست سنوات طفلة سمراء بعيون واسعة، ترتدي فستانا أزرق، اعتذر مني لأنه أحضرها معه لكنه اضطر فهي تسهل مروره على الحواجز، (يمر بسرعة دون تفتيش) هكذا قال..

بدأ "أبو وائل"بتصليح السرير، وأنا ما زلت مستغربة من أنه يستخدم ابنته للمرور على الحواجز..

- راما تشربي عصير؟

نظرت إلى أبيها وكأنها تأخذ الأذن وجدته منهمك في عمله فأومأت لي برأسها مبتسمة..

ذهبت لأحضر العصير، بقيت راما قرب أبيها في غرفة النوم..

- راما تعي معي نشرب العصير برا.

أتت راما إلى غرفة الجلوس، تحمل حقيبتها الصغيرة جلست على الكنبة وكأس العصير أمامها، أمسكتُ بجهاز تحكم التلفزيون

- حطلك أفلام كرتون..؟

- لا شكرا

- شو تشوفي لكان؟

يقطع الحديث صوت القصف، تنظر راما إلى النافذة فوراً

- أنتو كمان عندكون قصف؟

- إيه واللّه..

وضعت لها محطة من محطات الأطفال، ورفعت الصوت

- أنا ما بحب أفلام الكرتون..

- ما بتحبي توم وجيري..؟

- مين توم وجيري؟

هل هناك طفل لا يعرف توم وجيري..

- القطة والفارة اللي بيضلوا يعملوا مقالب ببعض، ما تزكرتيهون؟

- آه أي بعرفون تزكرتون هلق..

- بتحبيون؟

- إلي زمان ماشفتون..

من الطبيعي أن تنسى توم وجيري، الأطفال أصبحوا أمام نشرات الإخبار أيضا، بدأت ابحث في جميع محطات الأطفال التي اعرفها، وأخيراً وجدت توم وجيري..

يخرج "أبو وائل" من غرفة النوم يأتي إلى غرفة الجلوس ليصلح الطاولة الموجودة في الغرفة يخبرني أنه أصلح السرير، وسيبدأ بالطاولة..

- شكرا يا أبو وائل.. كيف الأحوال بسقبا؟ لسا علقانة..؟

تنهد بحرقة وأجابني: آه لسا وما رح تهدا كل يوم أسوأ من اللي قبلو..

- لا حول اللّه ولأيمتا يعني..؟؟

- ما في مدام لحتى يروح.

نظرت إلى راما متسائلة إن كانت تسمعنا، تحديدا جملة (حتى يروح) رأيتها تتابع الحديث بيني وبين أبيها، وعندما التقت عيني بعينها قاطعتنا قائلة وهي توجه الحديث لي..

- استشهد محمد..

- مين محمد؟

- رفيقي..

نظرت إلى أبو وائل: - مين رفيقها..!

- لك مو رفيقها عمرو 25 سنة ابن جيرانا كان يدللها ويلعبها..

- اللّه يرحمو..

نظرت إلى وهي تشرب من كأس العصير وسألتني

- بتعرفي شو يعني استشهد؟

أربكني السؤال..

- لا شو يعني..؟

- يعني سافر ع الجنة هيك قالتلي أمي..

- (تقترب مني هامسة) كنت بحبو ل محمد وبدي اتجوزو بس اكبر، بس بيجوز يرجع بس اكبر..

يقطع همسها أبو احمد..

- واللّه يا مدام ما بقا في شباب بالبلد يا عم يموتوا يا عم يهربوا..

تنظر إلى أبيها نظرة لوم، لأنه قطع بوحها لي، وتسأله بحدة..

- و نحنا ايمتا بدنا نهروب؟

- مابدنا نهروب حبيبتي..

- إيه منموت ازا ما هربنا..

- لا ما منموت لا تخافي..

- (وكأنها تناكد أبيها وبمكابرة) أنا مو خايفة بس عم اسأل..

قطعت هذا الحديث بينهما بسؤالي لها..

- بدك تطلعي من الشام.؟.

تهز رأسها..

- لوين جاية ع بالك تروحي..

- ما بعرف شو اسما..

- مابتعرفي شو اسم البلد؟

- لا بس بعرف شكلها يعني ازا بروح بعرفها..

- كيف بتعرفي شكلها؟

- شفتا بالصورة..

ضحكت..

- كيف شكلها..

- كبيرة.. وحلوة.. فيها العاب.. وأكلات طيبة.. وحيوانات كمان..

- طيب وين شفتيها..

- شفتها..

- وين بالتلفزيون؟

- لا رفيقي فرجاني صورتا وحكالي عنا..

- مين رفيقك؟

- بلوم وكأنها تقول لي (كم مرة سأخبرك): محمد ابن الجيران اللي راح عالجنة..

- شو حكالك؟

- قلي انو هو عم يشتغل مع رفقاتو مشان يعملوا سقبا حلوة متل البلد اللي بالصورة..

(تتحمس وتبدأ تشرح لي بيديها) هيك يعني كبيرة.. فيها جنينة كبيرة كتير وفيها العاب.. وفيها بحرة كمان فيها بطات.. وسمكات.. وفيها أكلات طيبة ببلاش يعني بس مناكول ومنلعب.. ومنضحك كتير (تبتسم ابتسامة عريضة وكأنها أصبحت في البلد الذي تتكلم عنه)

في الحقيقة أنا أحببت هذه البلد أيضا فسألتها عن البيوت في هذه البلد..

- البيوت كمان حلوة كتير وفيها العاب كمان.. وما بتنقطع الكهربا.. ودافية بالشتا وما بتشوبي فيها بالصيف.. حلوة يعني..

جوابها لي فيه تأكيد عجيب، كأنها تعرف البلد حق المعرفة..

- محمد راح ع هي البلد؟ بيعرفها؟

- (مؤكدة أيضاً): أيه محمد راح.. ومحمد بيعرف كتير شغلات.. حكالي كتير قصص حلوة.. وقلي كمان انو حتى بالمدرسة في العاب (تزيد حماسها) وفي العاب كمان للكبار اللي قدك.. الكل بينبسط يعني.. (تهمس لي وهي تنظر لأبيها وكأنها تعنيه) وماحدا بيخانق ولادو..

تلتقي عيناها بعيني أبيها، الذي يخاطبها قائلاً:

- لك حاج تكري يا راما وجعتيلا راسها ل خالة..

تنزعج من ملاحظة أبيها التي أعادتها للواقع، تنظر إليه وقد عقدت حاجبيها، وكأنها تقول له ملاحظتك ليست بالوقت المناسب، لقد قطعت لي حديثي..

ترفع يدها باتجاه أبيها رافعة الإبهام والسبابة معا على شكل مسدس تصوبه باتجاهه وتقول..

- بيو.. (مقلدة صوت الطلقة)

أنظر إليها نظرة استفسار، تجيبني فوراً وهي تبتسم بمكر..

- قوصتو..

كل الأحلام والقصص الجميلة تنتهي في اللحظة التي تعيدها إلى الواقع.. إنها الحرب ومصطلحات الحرب صالحة لجميع الأعمار..

- 3 -

جابر

أقصر المسافات أصبحت بعيدة في دمشق، مع أن المدينة لم تتوسع، الطرقات ذاتها والأماكن ذاتها، كل ما حصل أن شوارع أغلقت وأخرى قطعت بحواجز، مما يعني أن أقرب مكان تقصده قد يأخذ ساعتين بالسيارة، (دمشق تبتعد عن بعضها) هذا ما قلته في نفسي وأنا أقود السيارة، باتجاه سوق الخضار في الشعلان.

ركنت سيارتي في أول فسحة وجدتها في الشارع، وأكملت طريقي مشياً، وصلت إلى المحل المنشود وأخيراً، أخبرته بما أريد، أثناء ذلك اكتشفت أنني نسيت محفظتي في السيارة، طلبت منه إرسال أحد الصبية معي، ليساعدني في حمل الأكياس، وأدفع له عند السيارة.. أجابني بلهجة التاجر الدمشقية:

- ولو يا مدام على حسابك..

طبعاً جوابه هذا فيه بالنسبة لي من اللطافة، نفس القدر من الإحراج، لأنه قالها وهو يعطيني ورقة الحساب..

نادى بصوت جهوري:

- وينك ياولد؟

خرج طفل في العاشرة من عمره توجه نحو الأكياس وحملها فوراً دون أية إشارة أو طلب وسألني:

- وين السيارة؟

- بآخر الشارع..

مشينا مع بعضنا، نظرت إليه لم أرى طفلا، أنه يمشي بثقة الشباب وعنجهيتهم، تفضحه يداه الصغيرتان الغضتان، طلبت منه حمل بعض الأكياس معه لكنه رفض وبشدة..

- ولو يا مدام.. معقول تحملي وأنا معك..

أضحكني جوابه إنه جواب رجل وليس طفل..

- شو اسمك؟

- جابر..

- عاشت الاسامي..

- قديش عمرك يا جابر؟

- عشر سنين الأسبوع الجاية بفوت بالايدعش..

- أول مرة بشوفك عند أبو أحمد..

- إلي أسبوع بس..

- ماعندك مدرسة؟

أجابني وكأنه يسخر مني..

- ليش بقي مدرسة يا مدام؟

- ليش هيك عم تقول..

- لأنو المدرسة انقصفت..

- أفف ليش وين مدرستك..؟

- بالميدان.. نحنا كنا ساكنين هنيك بس هلق انتقلنا..

طيلة الأسبوع الماضي كانت نشرات الأخبار تبث أخبار الميدان.. ومازالت تقصف حتى الآن..

- اللّه يعينكون.. وين سكنتوا؟

- بجرمانا، عم يقولوا جرمانا ما بيصير فيها شي..

لم أفهم ماذا يعني بكلامه أن جرمانا لن يحدث فيها شيء

- كيف يعني ما بيصير فيها شي؟

- يعني ما فيها عصابات مسلحة..

- ليش الميدان كان في عصابات مسلحة؟

- مليانة.. ما عم تشوفيهون عالتلفزيون؟

- لا واللّه..

- معناتا ما عم تشوفي "الدنيا"؟؟

إنه السؤال الفخ في سوريا، السؤال الذي يفضح الميول، إن كنت تتابع محطة الدنيا فأنت موالي.. إن كنت من متابعين محطة العربية أو محطة الجزيرة فأنت معارض متآمر على الوطن..

- لا بشوفا.. بشوف كل شي..

حتى الطفل أخافني لم أستطع القول أمامه أن أكثر ما يستفزني في هذه الأيام هو محطة الدنيا..

رد علي بلهجة لم أستطع تمييزها هل يسخر مني؟!

- أيه كل يوم ع "الدنيا" بيطلعوا عصابة مسلحة من الميدان.. اللّه يخلصنا منون بقا آمين يارب العالمين، شو رأيك إنتي مدام مو كأنو هالعصابات كتروا كتير؟؟

لم يسألني هذه الأسئلة الصعبة؟!

- مبلا كتروا..

- هادا كلو لأنو نحنا مو إيد وحدة..

هنا تاهت مني البوصلة، حيرني جابر، لم أستطع معرفة ماذا يدور في باله..

- كيف يعني مو إيد وحدة؟

- يعني لو نحنا إيد وحدة ما كنا وصلنا ل هون..

- لوين كنا وصلنا؟

ضاحكاً ومبتسماً: لوين ما بدنا يا مدام..

وصلنا إلى السيارة، فتحتها له، وأنا مازلت أفكر بجملته (لوين مابدنا)، هذه الجملة التي تحمل تفاؤل وحلم العالم كله..

فتحت حقيبتي وأنا انظر إلي ورقة الحساب التفصيلي، نظرت إليها بسرعة لفتني سعر بعض الأغراض فيها:

- أفف كيلو الليمون ب بمية وخمسين ليرة.. اللّه يعين العالم..

جابر هز رأسه موافقا..

أخرجت النقود وأعطيتها له وأنا مصدومة بالفاتورة:

- ازا ضلت هيك الأسعار واللّه العالم لتموت من الجوع..

مددت له يدي لأعطيه المال، نظر إلي، أخذ النقود واقترب مني هامساً:

- يا مدام العالم ماعم تموت من الجوع، العالم عم تموت من القتل..

جابر يعرف الحقيقة، يعرف أن القتل هو السبب الوحيد للموت في هذه المدينة.

صور النص من الكاتبة

رحلة النزوح الثانية: فلسطينيو مخيم اليرموك والأحداث السياسية في سوريا

■ جهاد الحلاج

"النكبة الثانية" هكذا أطلق عليها اللاجئين الفلسطينيين بسوريا العام 2011.

حين تم وضع اللبنات الأولى لإقامة مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين عام 1957 كان يقع في بقعة ريفية على بعد بضعة كيلومترات جنوب العاصمة، قبل أن تتوسع دمشق ويصبح المخيم جزءاً أساسيا من مكوناتها الجغرافية والديمغرافية.

تشرف على المخيم الهيئة العامة للاجئين التي تتبع وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل في سوريا، وقد خُصِّص لإيواء عشرات آلاف اللاجئين الذين اضطروا لمغادرة بلداتهم وقراهم عشية انتهاء الانتداب البريطاني في فلسطين وإقامة دولة إسرائيل اثر الهزيمة التي لحقت بالجيوش العربية في حرب عام 1948، أو ما يسمّى بالنكبة.

خلال سنوات قليلة، بات المخيم أكبر تجمع للاجئين الفلسطينيين في كل من سوريا ولبنان والأردن، وأصبح رمزاً للعودة، كما غدا يُعرف بـ "عاصمة الشتات الفلسطيني"، علما انه يوجد في سوريا وحدها خمسة عشر مخيما تتوزع على ست مدن.

وأسهم صدور قانون سوري عام 1956 ساوى اللاجئين الفلسطينيين بالمواطنين السوريين بإتاحة هامش كبير لهم من التحرك والانخراط في كافة مؤسسات الدولة.

منذ تسلم حزب البعث السلطة عام 1963 مع ما حمله حينها من أيديولوجيّة ثوريّة حصلت حركات المقاومة الفلسطينية الوليدة على دعم رسمي ومكشوف، ما شجّع الآلاف من شبان مخيم اليرموك على الانضمام لتلك التنظيمات وفي مقدمتها حركة فتح والجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين.

قتل المئات من شبان المخيم خلال المعارك مع إسرائيل خصوصا خلال اجتياح لبنان عام 1982. فقد كان هؤلاء يدخلون الأراضي اللبنانية بغطاء من الجيش السوري الذي كان يقوم بمهام قوات الردع العربية هناك.

بعد ذلك وإثر خلاف بين الرئيس السوري حينها حافظ الأسد وياسر عرفات تعرض اليرموك كما غيره من المخيمات الفلسطينية لضغوط أمنية كبيرة، حيث اعتقل الآلاف من اللاجئين بتهمة انتمائهم لحركة فتح، وصودرت مكاتب الحركة كما دعمت دمشق حركات انشقاق قام بها مسؤولون في فتح.

منذ ذلك الحين تراجع دور مخيم اليرموك في العمل المسلح وكذلك على مستوى الحراك السياسي، لصالح نشاط تجاري انعكس بنهضة اقتصادية لافتة في أنحائه، وأدى إلى استقطاب عشرات آلاف السوريين للعمل والسكن فيه، وبات تعداد سكان المخيم يقدّر بنحو 800 ألف شخص غالبيتهم سوريون من سكان الاحياء العشوائية التي أقيمت على أطرافه.

ورغم كسر الجمود في العلاقات الفلسطينية - السورية بعد وفاة كل من حافظ الأسد وياسر عرفات إلا أن مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية ظلت ممنوعة من العمل في اليرموك، وهذا ما أتاح المجال واسعاً لنشاط حركتي حماس والجهاد الإسلامي اللتين انتقلت قيادتاهما إلى دمشق نهاية عام 1999.

وانتظم جزء كبير من شبان المخيم في الحركتين خصوصا حركة (حماس) التي كان زعيمها (خالد مشعل) الذي يقطن في مخيم اليرموك قبل أن ينتقل إلى مكان آخر نتيجة اثر اغتيالات طالت قيادات في الحركة داخل دمشق.

لا تعتبر وكالة (غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين) ضمن تصنيفاته، (اليرموك) مخيماً، لكنها تقدم خدماتها التعليمية والصحية فيه، وتعتبر نسبة المتعلمين فيه من أعلى النسب ليس على مستوى سوريا فحسب، بل على المستوى العربي.

اثر بدء الانتفاضة السورية ضد نظام الرئيس بشار الأسد واتضاح التمايز بين حركة (حماس) والنظام السوري لرفض حركة (حماس) دعمَ أسلوبه في التعامل مع الحراك الشعبي، ما حدا بقيادة حركة (حماس) لاحقا إلى مغادرة سوريا، وبقي تمثيل اللاجئين الفلسطينيين غير محسوم سياسيا لجهة أو لأخرى.

وخرجت مظاهرات سلمية في مخيم (اليرموك) تطالب بالتغيير، و كان أهم شعاراتها (واحد واحد فلسطيني وسوري واحد)

واستغل تنظيم الجبهة الشعبية القيادة العامة (الذي انشق عن الجبهة الشعبية بقيادة جورج حبش ولاحقا أحمد سعدات الذي تعتقله إسرائيل) الداعم للنظام السوري لملء الفراغ في اليرموك ونشر عناصره المسلحةفي المخيم لمنع الجيش السوري الحر من دخوله على ما يقول في بياناته.

إلا أن ذلك لم يحل دون استهداف مخيم (اليرموك) عدة مرات من قبل القوات الحكومية، وخصوصاً بعد نجاح الجيش الحر في دخول أطراف المخيم من جهة حي الحجر الأسود إلى الجنوب وحي التضامن إلى الغرب حيث تنشط مجموعات الجيش السوري الحر منذ شهور، وأدى ذلك إلى سقوط عشرات القتلى في مخيم اليرموك، فيما وثقت مصادر فلسطينية مقتل أكثر من 700

فلسطيني منذ بدء الأزمة في سوريا.

في السادس عشر من ديسمبر/ كانون الثاني استُهدف المخيم بصاروخين في غارة جويّة وذلك للمرة الأولى على الإطلاق.

انكر النظام السوري المسؤولية عن قتل وجرح العشرات جرّاء القصف الذي اتهم به تنظيم جبهة النصرة المرتبطة بالقاعدة، لكن سكان المخيم بدأوا رحلة نزوح جديدة في اتجاهات متفرقة شبيهة بتلك التي قادت أجدادهم وآباءهم إلى مخيم اليرموك.

ما حدث قبل ثلاث أيام بعد تمركز الجيش الحر بمنطقة (الحجر الأسود والتضامن) وهي مناطق ملاصقة للمخيم. قررت قيادات الجيش الحر بالتقدم للمخيم و بعد ذلك التقدم حتى منطقة الزاهرة و قد انسحب اثناء الأقتحام عناصر القيادة العامة (شبيحة أحمد جبريل) الموالية للنظام مما أدى إلى سقوط سريع للمخيم بأيدي عناصر الجيش الحر مما أدى إلى حالة فزع بين أهالي المخيم من الجدير بالذكر أن المخيم يعتبر خزان بشري للفلسطينيين و السوريين.

أصبح مخيم اليرموك شبه خالي من المقيمين به يصف الفلسطينيين أن ما يحدث بالمخيم (كارثة إنسانية) هناك العديد من العائلات لازالت متواجدة بالمخيم.

وأغلب العائلات الذي نزحت توجهت للأحياء الدمشقية لكي يقيمو عند أقرباء او اصدقاء و منهم من هو ميسور الحال ماديا قاموا باستئجار شقق أو المكوث بفنادق وهناك عائلات التي ضاقت بها السبل افترشت الأرض و الحدائق العامة و هناك أعداد كبيرة توجهت إلى لبنان للمكوث بمخيمات لبنان و منهم من توجه للسفارات لطلب اللجوء إلى الدول الأوربية.

هناك أشخاص أدلوا بشهاداتهم مثل لنا السيدة أم محمد (45 عاماً، ربة منزل) و فتاة تدعى آيات.

تقول أم محمد انها عايشت النزحه الأولى من فلسطين إلى لبنان وبسبب الأوضاع هناك قررو أهل أم محمد اللجوء إلى دمشق و قالت بشأن النزحة الثانية انها كانت تتوقع النزوح بعد الأحداث التي جرت بمناطق محادية للمخيم و ذكرت انه عندما دخل الجيش الحر إلى المخيم حدثت حالة من الهلع و الخوف بسبب ردة فعل الجيش النظامي وكان قرار الخروج من المخيم جماعي مع الجيران و الاقارب

تذكر أم محمد شيء مهم انه عندما نزحت النزحة الأولى من فلسطين قالو لهم سنخرج بضعة ايام ونعود وتقول أنها سمعت هذه العبارة مرة أخرى عندما خرجت من المخيم.

وتقول أيات طالبة بجامعة دمشق أنها ذهبت كأي يوم معتاد للجامعة وعادت | ، وكان الوضع طبيعي، وتقول: (إن والداي كانوا بأعمالهم، وبالظهيرة بدأت الأحداث تتسارع، و حول أهلي العودة من أعمالهم للبيت، فمنعوا. اضطررت للفرار أنا وأخي لخارج المخيم، وبدأنا بالتسلل عبر الأزقة مع عدد من العائلات التي كانت تهم بالهروب إلا أن وصلت إلى خارج المخيم و التقيت أهلي أنا وأخي الصغير).

تجري الأن مفاوضات لتحييد مخيم (اليرموك) من قبل جميع أطراف الصراع في سورية. وهناك مساعي دولية بهذا الصدد، لحماية المدارس و المستوصفات الموجودة في المخيم، والتابعة لمنظمة للأمم المتحدة (الأنوروا).

تتباين أراء الشارع الفلسطيني حول الثورة منهم الموالي و منهم المعارض و منهم من احتكم لمرجعيته السياسية وبالمقلب الأخر هناك جزء كبير من الشعب الفلسطيني يعتبر سوريا ارض شتات و هوه ضيف لايهمه من يحكمها و يهمه الأستقرار والأمن بغض النضر عن أي شيء.

إن أخر الأنباء تقول أن الجيش الحر أجرى مفاوضات مع جبهة التحرير (فتح) لتسليم أمن المخيم إليها. ومن الملاحظ أن المجتمع الدولي تحرك بسرعة كبيرة وضغط على جميع الأطراف لتحييد المخيم، لكن يبقى السؤال الأهم، هل يسعى المجتمع الدولي لإسكات الصوت الفلسطيني كي لا يحقق له شرط العودة إلى بلاده، أم أن الفلطسيني – السوري أصبح جزءاً من المجتمع السوري يطاله ما يطال المجتمع السوري من تغيير، أو عنف؟.

من ذاكرة العتمة

■ جوليا شحادة

ليل السجن طويل يكاد لا ينتهي، مساءً تطفأ أنوار المهجع وتغلق الأبواب ويتجه كل معتقل إلى زاويته الخاصة مع مصباحه اليدوي وكتابه في محاولة منه للتغلب على الوقت والعتمة.

أما الأميون من الشباب المعتقلين فكانوا يمضون الجزء الأول من الليل في لعب الورق أو إلقاء النكت.

كان عدد الذين لا يحسنون القراءة والكتابة جيداً، وبعد مدة من تواجد المعتقلين معاً في مهجع واحد وازدياد العلاقات بينهم قوةً قرر عدد من الشباب التطوع لإقامة دورات محو الأمية لزملائهم، وكان الإقبال على الانتساب لهذه الدورات من قبل الشباب الأميين كبيراً.

وحده صلاح الوحش كان رافضاً بشكل قاطع لفكرة محو أميته، وقد قاوم بشدة جميع محاولات الشباب لإقناعه بالالتحاق بإحدى الدورات وكان جوابه الدائم:

"أنا ما بدي فك أميتي! لما بيطلع الواحد بيسألوه أديش نمت (بمعنى كم من الوقت قضيت في السجن) مش أديش قريت!"

كان الوحش في السابعة عشرة من عمره، شاب لبناني التحق بالميليشيات المناهضة لنظام الأسد في الثمانينيات وتم القبض عليه من قبل قوات النظام الموجودة في لبنان ونقله إلى سجن صيدنايا العسكري في ريف دمشق، وكان أمياً تماماً، عاجزاً حتى عن كتابة اسمه.

عبثاً حاول الشباب إقناع الوحش بأن يخضع لدورة محو الأمية ولكنه كان يرفض دائماً، وكأنه كان يخشى الأحرف والكلمات.

بعد أن أتم جميع الشباب دورات محو الأمية واكتشفوا متعة احتضان الكلمات ليلاً بقي الوحش وحيداً في زاويته يقضي الليل برفقة ذكرياته وألمه وحده، أو يحاول جاهداً سرقة كتب زملائه، تلك الكتب نفسها التي سرقت منه متعة الصحبة الليلية.

بعد عدة أشهر يئس الوحش من مصارعة الكتب، فاستسلم وطلب من زملائه المتطوعين إجراء دورة خاصة له لمحو أميته.

عمت الفرحة المهجع كله، وبدأ الجميع ببذل قصارى جهودهم لمساعدته.

بعد شهر أنهى الوحش الدورة بنجاح فقرر الشباب إقامة احتفال بمناسبة القضاء على أمية آخر زميل لهم (وهي مهمة لم تكن بالسهلة).

بدأت التحضيرات للاحتفال الكبير ودعوة جميع نزلاء مهاجع الجناح للمشاركة، وفي اليوم الموعود أخذ الحضور أماكنهم ونودي على الوحش ليقوم بقراءة مقطع منتقى من إحدى المقالات في الجريدة.

وبعد أن أتم الوحش القراءة بنجاح وأعلنت اللجنة أنه لم يعد أمياً بعد اليوم وقدمت له مصباحه اليدوي الخاص بدأت فقرات الحفل.

بدأ الحفل بكلمات مزعومة لممثلي الأحزاب والمنظمات الموجودة في السجن، ثم وأمام مفاجأة الجميع أطل أحد المعتقلين بثياب وزينة نسائية كاملة لإلقاء كلمة مندوبة الاتحاد النسائي الخاصة بهذا الحدث السعيد.

بعد ذلك تم توزيع الطعام والشراب المخصص لهذه المناسبة على الموجودين، لتبدأ بعدها فقرة قراءة برقيات تهنئة مزعومة من وزراء التعليم في الهند والصين وسائر دول وإفريقيا وأوروبا بلهجاتها المحلية مصحوبة بترجمة فورية إلى اللغة العربية للكلمات الغير مفهومة التي قام بابتداعها مندوب كل دولة.

انتهى الحفل عندما تم إطفاء الأنوار وإغلاق الأبواب ليكون الوحش أول المنسحبين إلى زاويته برفقة كتابه ومصباحه.

فتح اللّه أسيون 1897-1990

■ ياسر مرزوق

وُلد فتح اللّه أسيون في حلب عام 1897، من عائلة للأرمن الكاثوليك، كان والده إدوار أسيون من كبار مفتّشي شركة الريجي الفرنسية، ووالدته أسمى غضبان بنت الشاعرة المبدعة مريانا مرّاش صاحبة "الصالون الأدبي" الذي امتازت به في حلب في أواخر القرن التاسع عشر. وكان وحيد أهله بعد أن تُوفّي شقيقان له وهما صبيّان صغيران، تلقى فتح اللّه تعليمه الابتدائي في مدرسة "الأخوة المريمية" في حلب، ثمّ سافر مع والدته وخاله إلى مصر عام 1915 حيث أكمل دراسته الثانوية، وانتسب إلى كلّية الحقوق الفرنسية في القاهرة وتخرّج فيها عام 1922. وكان يعمل خلال دراسته الجامعية في السفارة الفرنسية بالقاهرة. ومارس المحاماة في مصر، ليعود بعدها إلى حلب عام 1925 ليتدرب في مكتب المحامي "كوستاكي ساباً" ويصبح شريكا له، وكان أسيون من أوائل المحامين السوريين المعتمدين في المحاكم الفرنسية المختلطة والمترافعين فيها لإتقانه اللغة الفرنسية.

أُعجب به المجاهد إبراهيم هنانو عندما استمع إليه في إحدى مرافعاته فطلب منه أن يرشّح نفسه للمجلس التأسيسي عام 1928. وتجدر الإشارة إلى أنه وأثناء محاكمة الزعيم الكبير لم يكن في حلب محامون يترافعون بالفرنسية سوى أستاذين هما "لويس زيادة وفتح اللّه أسيون" وكان الأخير هو المرجح للدفاع عنه، لكن الخيار وقع أخيراً على المحامي الألمعي والمتخرج حديثاً "فتح اللّه صقّال"، إلاّ أن الود لم ينقطع أبداً بين هنانو و أسيون.

تزوّج عام 1930 بالآنسة "أنطوانيت بنت نيقولا بليط" ورُزق منها أربعة أولاد هم: تيريز وقد تُوفيت عام 1983 - وجبرائيل وبولس وبطرس.

بدأت حياته السياسية بانتخابه نائباً في المجلس التأسيسي الذي سيضع دستور البلاد، وقد تمّ انتخاب هاشم الأتاسي رئيساً للمجلس وفوزي الغزّي نائباً أوّل للرئيس وفتح اللّه أسيون نائباً ثانياً للرئيس. وقد ساهم في وضع مشروع الدستور الذي صدر بعد مناقشات ومفاوضات عام 1930، وقد أعيد انتخاب الأستاذ فتح اللّه نائباً عن حلب في المجلس النيابي في أعوام 1936 و1943 و1949. وانتخب نقيباً للمحامين عام 1950.

عام 1945 وفي وزارة "سعد اللّه الجابري" سمي السيد نعيم أنطاكي وزيراً للمالية وللأشغال العامة، ثم استقال أنطاكي في كانون الأول من العام نفسه، فعهد إلى السيد حسن جبارة بوزارة المالية، وللأستاذ أسيون بوزارة الأشغال العامة. عام 1949 شغل أسيون منصب وزير دولة في الحكومة التي شكلها الرئيس هاشم الأتاسي والتي كانت مخولة بالقيام بصلاحيات رئيس الجمهورية التشريعية والتنفيذية ريثما تعود الحياة النيابية للبلاد، وذلك في عهد انقلاب "سامي الحناوي".

ثم وزيراً للصحة والإسعاف العام في حكومة "خالد بيك العظم" عام 1949 عن حزب الشعب الذي ينتمي إليه أسيون واحتفظ بذات الحقيبة في حكومة "حسن الحكيم" عام 1951 التي لم تدم طويلاً بسبب المعركة المحتدمة بين رجال الجيش وبين جماعة حزب الشعب التي ينتمي إليها أسيون، ثم وزيراً للأشغال العامة والاتصالات في حكومة أديب الشيشكلي عام 1953، ثم وزيراً للشئون الاجتماعية والعمل، في حكومة الدكتور "عزت النص" عام 1961 والتي استمرت شهراً واحداً ويومين للإشراف على الانتخابات النيابية.

مُنح عام 1955 وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة لخدماته الجلى للوطن، وبخاصّة في مشروع جرّ مياه الفرات إلى حلب. كما مُنح وسام القدّيس سلفستروس برتبة فارس من قداسة البابا في روما. ذلك تقديراً لمتابعته الجادّة لتنفيذ مشروع جرّ مياه الفرات إلى حلب، هذا المشروع العظيم الذي بدأ بتأمين 30000م3 من المياه في بدايته ولا يزال يعاد تنفيذ مدّ الأنابيب على مراحل من الفرات إلى حلب بالأسلوب نفسه لتأمين مياه الشرب للمدينة بتوسّعها وتفجّرها السكاني حيث يؤمّن لها حاليّاً 480000م3 من المياه يوميّاً "كان عدد سكّان حلب 300000 نسمة عام 1950 وأصبح عددهم اليوم أكثر من أربعة ملايين نسمة تقريباً".

تُوفّي الأستاذ فتح اللّه أسيون في حلب عام 1990. ورثاه نقيب المحامين آنئذٍ الأستاذ طريف كيّالي، وكان ممّا قاله المرحوم الشاعر أنطوان شعراوي باسم أصدقاء الفقيد: كان يحمل وسامين.. ولكنْ قبل الوسام الأوّل وقبل الوسام الثاني كان يزهو بأوسمة خفيّة نالها عن جدارة واستحقاق لا تراها العين، هي وسام القلب الطيّب الذي لا يعرف الحقد إليه سبيلاً، ووسام الاستقامة والشرف اللذين كانا رائديه في كلّ أعماله، ووسام خدمة الإنسان لأخيه الإنسان. كانت هذه الأوسمة شعاره في حياته زيّنت صدره الطاهر وازدانت به، وقد سُمّي باسمه شارع في حيّ الحمدانية.

اللّيرة التي تهبط في نهاية كل شهر وحدها الحكومات غير الوطنية تفعل ذلك

■ زيد الخوري

لم ترى سوريا منذ الانتداب الفرنسي حكومة تتاجر بعملتها، ففي ظل الانتداب كانت اللّيرة مرتبطة بعملة فرنسا (الفرنك) و كان من البديهي أن تخفض حكومات الانتداب من قيمة العملة قدر الإمكان لتتمكن من تغطيتها بأقل عدد من الفرنكات و هكذا بات بإمكان قادة الانتداب أن يدفعوا أجور عملائهم بأقل كلفة متجاهلين أثر ذلك على اقتصادنا المحلي. فهم - كحكومة انتداب - يعتبرون اللّيرة مجرد سلعة كلما رخص ثمنها تمكنوا من شراء المزيد منها ليمولوا عملياتهم داخل البلاد..

و هكذا لم تبصر سوريا منذ الاستقلال و فك ارتباط عملتها بالفرنك أحدا يعامل عملتها بهذا الأسلوب، حتى بدأ المصرف المركزي التابع للسلطة الحالية بتحرير اللّيرة كخطوة أولية نحو تخفيض سعرها ليتمكن من شراء المزيد منها و سحبه من التداول بسعر منخفض في نهاية كل شهر، ثم يعاود ضخها في السوق على شكل رواتب و إعانات دافعاً الأسعار نحو الارتفاع لا بسبب زيادة النقد (الذي تعد كميته الإجمالية ليست كبيرة) بل بسبب ارتفاع تكاليف الإنتاج الناتج عن زيادة تكاليف الاستيراد بعد انخفاض قيمة اللّيرة فضلا عن أسباب التضخم الأخرى كانخفاض الإنتاج بدرجات أعلى من انخفاض مستوى الطلب.

يقوم المصرف المركزي الذي لم يعد سوى مجرد أداة (مع توارد معلومات تفيد أن سعر الصرف بات من صلاحيات غرفة عمليات تابعة للقصر الجمهوري و أن المصرف المركزي أصبح مجرد صراف للعملة)، يقوم هذا المصرف مع اقتراب نهاية كل شهر ببث الذعر في سوق الصرف عبر أدواته من صرافين و (مرايا) في السوق السوداء مما يخفض سعر اللّيرة إلى حدود تجعل السوق في حالة اضطراب مزمن و تخلق عمليات شراء متتالية للقطع الأجنبي بأسعار تزداد ارتفاعا تجعل البائع يجني الكثير من الليرات بالقليل من الدولارات ثم يعود مع انتهاء حلقات البيع إلى خفض سعر الصرف نسبيا عبر ممارسة نفس الأثر الذي أدى إلى الارتفاع ليتمكن من استرداد جزء من القطع المباع بهدف الحد من نزيف احتياطياته من القطع الأجنبي.. و هكذا تتكرر العملية حتى أصبحت أشبه بسياسة معتمدة.

تقوم هذه السياسة على استغلال مبدأ تحرير سعر الصرف أسوأ استغلال، حيث أصبح المصرف المركزي أشبه بمكتب صرافة في السوق السوداء التي بات من غير العلمي إطلاق هذا اللقب عليها بسبب تحولها إلى سوق شرعية في دولة حرر الصرف فيها بل و أصبح بنكها المركزي جزءا من هذه السوق..

ففي كل الدول التي تعتمد مبدأ اقتصاد السوق و المنتمية إلى المدرسة الأشد ليبرالية و الأشد استبعادا لفكرة تحكم السلطة التنفيذية بالسياسة النقدية _ التي هي في تلك الدول من عمل المصرف المركزي كسلطة مستقلة (حسب المدرسة النيوليبرالية) _ يقوم المصرف المركزي بسلطته المستقلة بعمل أساسي و هو ضبط التضخم داخل البلاد مستخدما مختلف الأدوات النقدية المتاحة لديه، و منها الصرف الحر الذي هو في هذا السياق إحدى وسائل تثبيت قيمة العملة. أما المبدأ المتبع في سوريا فهو تحرير سعر الصرف بهدف شراء اللّيرة بأقل تكلفة دون النظر إلى ما يسببه ذلك من تضخم، و هكذا يمكن تلخيص ما يحدث في سوريا بعدة نقاط أساسية ؛ سلطة تشتري عملتها بأقل سعر و تعطي موظفيها العاديين (وحتى زبانيتها) أجوراً لا تساوي إلا نصف قيمتها مع التضخم المطرد، سلطة تعكس أدوارها تماما لتبقى على قيد الحياة، سلطة تمارس التجارة التي كان يجب أن تقاومها و هي التجارة الأشد فتكا بالشعوب، سلطة تريد شراء ما تبقى من بلدنا بنصف ثمنه، حتى تبدو العبارة الأشد تهذيبا في وصف هذه السلطة بأنها (حكومة غير وطنية).

جورج طرابيشي

من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث

■ ياسر مرزوق

الانقلاب السني: "من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث"، الكتاب الأخير للمفكر العربي جورج طرابيشي، يحاول فيه أن يرصد، بوعي ثاقب ورؤية عميقة، تفاصيل "الانقلاب السني" على قيم القرآن طرداً مع التحول من إسلام الرسالة إلى إسلام التاريخ.

في هذا الانقلاب الذي يمتد امتداد الزمن المغلق فينا، أخذت السنة نفس مكانة القرآن، واحتلت موقعه في أحيان كثيرة، ثم صارت ناسخة للكثير من أحكام القرآن. من هنا بدأت الغلقة اللاهوتية وبدأ المسار الانحداري للتاريخ العربي الإسلامي وصولا إلى حالة الشلل والعطالة اليوم، والتي تهددنا بالسقوط في عصور وسطى ، وربما ينتظرنا الأسوأ.

ضد هذا الأسوأ يأتي هذا الكتاب كاشفاً عن مكامن الداء الذي استعصى وراصداً لتفاصيل الانقلاب التراثي الذي أفرغ الكثير من آيات القرآن من محتواها : منها آيات لا تمنح للرسول أي حق في سن القوانين وفي التشريع، وأخرى تحصر مجال الدّعوة في حدود موطن العرب غير الكتابيين داخل "أم القرى ومن حولها". وعقب "الانقلاب السني" تحول الحديث إلى مصدر من مصادر التشريع وتحول الرسول من مشرّع له إلى شارع. بل صارت الأحكام التي وضعها أهل الحديث على لسانه، في الكثير من الحالات، ناسخة لأحكام القرآن. وأمسى مجال الدعوة الإسلامية عن طريق الفتوح يشمل الأرض قاطبة والبشرية جمعاء.

هذا الانقلاب شرعنه كبار أئمة الأمة من أمثال الشافعي وابن قتيبة وابن حنبل وابن حزم وغيرهم، انطلاقا من المشروعية التي منحتها الدولة للانقلاب السني في عهد الخليفة المتوكل الذي شهد عصره هجوما عنيفا على المعتزلة والشيعة و"أهل الذمة" وعلى عموم الأقليات الدينية إرضاء لأهل الحديث واسترضاء لمزاج "العامة" سواء في عاصمة الخلافة بغداد أو في غيرها. هذا الكتاب يبدد الكثير من أحكام القيمة التي أشاعها معظم مؤرخي الحضارة الإسلامية عند المقارنة بين مختلف مذاهب أهل السنة، لكنه يمنح أيضا لتيارات الإصلاح الديني في بلداننا سندا معرفيا وموسوعا شرعيا لتحرير العقل الإسلامي من أغلال الجمود وأثقال التقليد.

يبني الأستاذ طرابيشي أطروحاته على مقدمات ومقولات، كبرى وصغرى، يخرج منها بنتيجة تعتبر أن التحول من إسلام الرسالة إلى إسلام التاريخ، الذي اقترن بتحول ذي خطورة تشريعية ولاهوتية، هو التحول من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث، وما استتبعه، حكم على العقل العربي الإسلامي، ابتداء من القرن الخامس الهجري، بالانغلاق والانكفاء على نفسه، ومنعه من اكتشاف مفهوم التطور وجدلية التقدم، الأمر الذي أسسه في خانة «ممانعة للحداثة».

وعنى التحول من إسلام الرسالة إلى إسلام التاريخ، التحول من الإسلام، الذي كان الرسول بموجبه مشرّعاً له، إلى الإسلام الذي صار الرسول بموجبه هو الشارع، الأمر الذي ترتب عليه خلافات تأويلية حول المرجعية التي ينبغي اعتمادها في هذا التأويل بين القرآن نفسه والحديث. ويعلل ذلك التحول بأن الإسلام الذي خرج إلى الفتوحات، حاملاً الرسالة القرآنية، ارتدّ بعدها نحو نفسه محملاً بما سيتم تكريسه تحت اسم السنة النبوية. وفي البداية، لم يكن للإسلام من أهل آخرين سوى أهل القرآن، لكن بعد الفتوحات الإسلامية ظهر أهل السنة، وانتزعوا الغلبة تدريجياً لأنفسهم ولمصطلحهم، وخاصة بعد تكريس الهزيمة النهائية للمعتزلة، والقضاء على التفكير العقلاني وعلى عقلانيات المتكلمين، فظهر الإسلام الحديثي، المنتصر على أثر «محنة» أحمد بن حنبل، ووقوف السلطة السياسية منذ أيام الخليفة المتوكل مع العامة من أهل السنّة. وكان لشعوب البلدان المفتوحة دور في تطوير علوم القرآن وشروحه، وفعلوا ذلك – في غالب الأحيان – تحت شعار «السنة هي القاضية على القرآن، وليس القرآن هو القاضي على السنة».

كانت بداية «الانقلاب السني» أو التحول الخطير من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث مع مالك بن انس، ثم اكتملت أبعاده مع الشافعي، واستأنفه ابن حزم، فيما يكاد يكون انقلاباً على الانقلاب في «نشأة ثانية». وكان الشافعي أول من نظر لتحويل الرسول من مشرّع له إلى مشرِّع. أما ابن حزم، فقد تخطى العتبة التي وقف عندها الشافعي في انقلابه ليجيز نسخ القرآن بالحديث، وليعطي التشريع الرسولي عين مكانة الصدارة التي للتشريع الإلهي، لكن الانقلاب الحزمي الظاهري، على خطورته هذه، يلابسه انقلاب «باطني» أكثر خطورة ، من خلال تنصيب نفسه في الحقيقة مشرّعاً، وإن وضع تشريعه على لسان الرسول، وبالتالي على لسان الله، طبقاً للمعادلة الأقنومية الحزمية. وبهذا المعنى لا يكون الرسول قد تحول من مشرّع له إلى مشرِّع إلا في الظاهر فحسب؛ أما في الباطن، فالعكس هو الصحيح.

وإن كان الشافعي قد قام، حسب طرابيشي، بالمهمة الإيديولوجية الأولى، وهي تأسيس السنّة، وربما كقرآن بعد القرآن، فإن الإمام بن حنبل هو بحق المؤسس الثاني للسنّة، وربما كقرآن قبل القرآن، ليكتمل بذلك الانقلاب السني الذي يفترضه طرابيشي في إسلام العصر الوسيط. وهذا يقتضي أو يستجر المقايسة مع الغرب، الذي دخل طور التقدم بعد التحول من مسيحية الكنيسة إلى مسيحية الإنجيل، بواسطة الثورة التي قام بها مارتن لوثر، وبالتالي فإن الإسلام بحاجة إلى لوثري جديد أو ثائر مسلم، من أجل تحقيق الانتقال من إسلام الحديث إلى إسلام القرآن.

لقد كان مشرع إسلام الرسالة القرآن. ففي القرآن لم يكن هناك من مشرّع سوى الله وحده ولم يكن من نصاب للرسول سوى أنه مشرَّع له. ولكن مع الحديث لم يحوّل الرسول إلى مشرّع فحسب، بل إن أولئك الذين أباحوا لأنفسهم أن يضعوا الحديث على لسانه قد نصّبوا أنفسهم في الواقع مشرّعين له كما لله. إن عدد الأحكام الملزمة للمكلّف في القرآن محدود للغاية ؛ أما المدوّنة الحديثية، التي حكمها قانون التضخّم المتسارع، فتتضمن آلافاً وآلافاً من الأحكام . وعلى هذا النحو يكون المكلف في الإسلام قد تحوّل إلى ما يشبه الإنسان الآلي الذي لا يتحرك في كل نأمة من نأماته إلا بالنصوص التي تتحكم بكل ما جلّ ودقّ من شؤون حياته العامة والخاصة. وبما أن الفرضية اللاهوتية التي انتصرت في الإسلام هي فرضية الشافعي القائلة إن الرسول لا ينطق إلا عن وحي حتى عندما لا ينطق بالقرآن، فقد أُنزلت الأحاديث التي وُضعت على لسان الرسول بعد وفاته منزلة الوحي الموحى، وتواضع أهل الحديث والفقه على اعتبار السنة، كالقرآن، تشريعاً إلهياً متعالياً. وككل ما هو إلهي ومتعال، أو مفترض فيه أنه كذلك، انعتقت السنة وأحكامها من شروط المكان والزمان، وصارت ملزمة للمكلف إلى يوم القيامة : فلا يتغيرَ فيها، ولا يجوز أن يتغير فيها شيء مهما تغيرت الأحوال والوقائع وشروط التاريخ . وهذا ما حكم على العقل العربي الإسلامي ابتداء من القرن الخامس الهجري بالاتكفاء على نفسه وبالمراوحة في مكانه في تكرار لا نهاية له ؛ وهذا أيضاً ما سدّ عليه الطريق إلى اكتشاف مفهوم التطور وجدلية التقدم وما يستتبعانه من تغيّر في الأحكام الوضعية ذات المصدر البشري لا الإلهي ؛ وهذا ما أسّسه أخيراً في ممانعة للحداثة تنذر في يومنا هذا بالتحوّل إلى ردّة نحو قرون وسطى جديدة.

يعتبر الكتاب تحليل نوعي للتأثيرات الزمنية وما تحملها من ضرورات على الإسلام الذي اخذ يراوح في مكناه بعد أن بدأ أصحاب الفتاوي يأخذون زمام أمور الحياة ومجرياتها وكل ما يعرقل من تطور. وبهذا الكتاب الذي يرصد الآليات الداخلية لإقالة العقل في الإسلام يختتم جورج طرابيشي مشروع "نقد نقدِ العقل العربي".

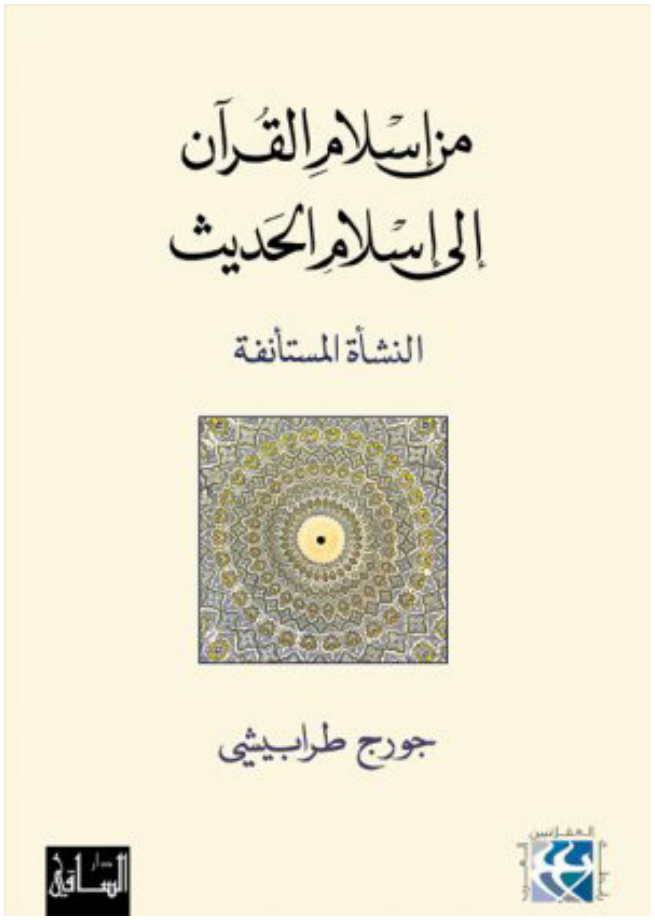

جامعـــة الثـــورة

■ بلال سلامة

جامعة الثورة.. جامعة حلب العريقة، لا تلخص حكايتها سطور ولا تكفي كل الكلمات لتعبر عن تاريخها. شعارها يظهر فيه مدخل قلعة حلب الشهيرة، و في أسفله كتاب تخط سطوره ريشة.

وكموجز سريع حول تاريخ نشوء هذه الجامعة لا بد أن نبدأ من عام 1901 عندما تقرر إنشاء مكتب مدرسة للطب في دمشق، وقد افتتحت هذه المدرسة في عام 1903 وضمت فرع الطب البشري وفرع الصيدلة وكانت لغة التدريس فيها اللغة التركية، وتعتبر النواة الأولى للجامعة السورية. تم افتتاح معهد الطب في كانون الأول 1919، ومدرسة للحقوق في شهر أيلول من ذات السنة. وفي عام 1923 سميت مدرسة الحقوق معهد الحقوق، وربط معهدا الحقوق والطب والمجمع العربي ودار الآثار العربية بمؤسسة واحدة تحت اسم (الجامعة السورية)، ثم فصل في عام 1926 المجمع العربي ودار الآثار عن الجامعة. وفي عام 1928 أنشئت مدرسة الدروس الأدبية العليا التي أصبح اسمها عام 1929 مدرسة الآداب العليا.

مع بداية عهد الاستقلال أخذ التعليم يحظى بالاهتمام المتزايد فاتسع نطاقه وامتدت رقعته وعدلت الأنظمة الجامعية تعديلاً جذرياً لتتمكن الجامعة من استقبال الأعداد المتزايدة من الطلاب وأحدثت اختصاصات جديدة ليكون بالإمكان اللحاق بركب التقدم العلمي والحضاري. وفي عام 1946 تم إنشاء كلية الهندسة في مدينة حلب كأول مؤسسة للتعليم العالي، وكانت حينها تتبع للجامعة السورية بدمشق. في عام 1958صدر قانون جديد لتنظيم الجامعات في إقليمي الجمهورية العربية المتحدة الشمالي والجنوبي يتم بموجبه إنشاء جامعة ثانية في سوريا يكون مقرها مدينة حلب. وفي عام 1960 استقلت كلية الهندسة فعلياً وشكلت حجر الأساس لهذه الجامعة.

أخذت الجامعة تنمو بسرعة وأضيفت لها الكليات الأخرى لاحقاً لتدرس المناهج في مختلف التخصصات العلمية والهندسية والأدبية، فنشأت كلية الحقوق 1961 - 1962، وحول المعهد العالي للتجارة إلى كلية التجارة وألحقت بجامعة حلب 1963 - 1964، وفي عام 1986 عُدل اسم الكلية إلى كلية الاقتصاد. تم إنشاء كلية الطب بجامعة حلب بالمرسوم رقم 1740 تاريخ 11 آب 1965 بعد صدور المرسوم الجمهوري رقم 1080 تاريخ 12 آب 1967 المتضمن النظام الداخلي لهذه الكلية ومنهاجها، وتمت المباشرة بإنشاء المرحلة الأولى من أبنية الكلية، وفي العام الدراسي 1967 - 1968 تم افتتاح الكلية ومباشرة التدريس فيها. كما تم إنشاء كلية اللغات وتضم الأقسام التالية قسم اللغة العربية واللغة الفرنسية 1967 - 1968، وتم افتتاح قسم اللغة الانكليزية 1968 - 1969، وتغير اسم الكلية إلى كلية الآداب عام 1971، ثم تغير اسمها ثانية إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية. تم إنشاء كلية العلوم عام 1967، و إنشاء كلية طب الأسنان 1979.

أما عن رؤساء الجامعة، فترأسها على التوالي كل من: توفيق المنجد من عام 1960 – 1967، ومصطفى عزة النصار من 1968 – 1969، أما في الفترة ما بين 1969 حتى 1973 لم يعين رئيس للجامعة وكان وزير التعليم العالي بحسب قانون تنظيم الجامعات يقوم بمهام الرئيس. ترأسها ما بين 1973 – 1979 أحمد يوسف الحسن، ومن 1979 – 2001 محمد علي حورية، ومن 2001 – 2004 محمد سعيد فرهود، ومن 2010 – 2012 نضال شحادة، وفي 2012 تم تعيين عابد يكن رئيساً للجامعة إلا أنه لم يستمر في منصبه أكثر من ثمانية شهور قبل أن يختفي وتتداول وسائل الإعلام خبر انشقاقه بين مصدق له ومكذب، وتولى بعده منير الحامض رئاسة الجامعة.

تعتبر الجامعة عضواً في كلٍ من: منتدى التعليم الأورومتوسطي الدائم وفي اتحاد جامعات المتوسط. وتضم الجامعة الكليات التالية: الاقتصاد، الآداب والعلوم الإنسانية، التربية، الحقوق، الشريعة، الصيدلة، الطب، العلوم، الفنون الجميلة، الهندسة التقنية، الهندسة الزراعية، الهندسة الكهربائية والإلكترونية، الهندسة المدنية، الهندسة المعلوماتية، الهندسة المعمارية، الهندسة الميكانيكية، طب الأسنان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الثانية في إدلب، كلية التمريض، كلية الحقوق الثانية في إدلب، كلية الزراعة، كلية الزراعة الثانية في إدلب، كلية العلوم الثانية في إدلب، إضافة إلى المعاهد العليا وكليات التعليم المفتوح والمشافي الجامعية.

وفي إحصاء حول أكبر خمس جامعات في الوطن العربي من حيث عدد الطلاب، حصلت جامعة حلب على الترتيب الرابع بعد جامعة القاهرة، جامعة دمشق، جامعة الإسكندرية، بمجموع 90، 625 طالب عام 2011.

إن تاريخ الثورة والنضال الطلابي من أجل الحرية ومن أجل حقوق الشعب السوري ليس بجديد، فلو عدنا قليلاً إلى الوراء إلى عام 2004 وبالترافق مع الانتفاضة الكردية، سنرى كيف حصلت انتفاضة مماثلة في جامعة حلب، وكان سببها الأساسي إلغاء التزام النظام بتوظيف المهندسين. في ذلك اليوم اعتصم أكثر من ثلاثمائة طالب في ساحة الجامعة معلنين اعتراضهم على هذا القرار، ونتيجة هذا الاعتصام تم اعتقال الكثير منهم.

اشتهرت جامعة حلب ومنذ انطلاقة الثورة في سوريا بريادة الحراك الطلابي في مختلف كلياتها، ونتيجة لهذا انتقم منها النظام أشد انتقام، وهاجمهما بكل وحشية، دون رحمة أو هوادة.

خرجت أول مظاهرة حقيقية من حرم كلية الآداب يوم 13 نيسان 2011، أي بعد ما يقل عن الشهر من انطلاقة الثورة. واستمرت المظاهرات بالخروج يومياً منذ ذلك الحين وبزخم متزايد.

وفي تاريخ 30 تشرين الأول 2011 وفي الساعة الواحدة ظهراً تأهب كل طلاب جامعة حلب لتنطلق مظاهرة كبيرة جداً من طرفي الساحة من جهة كلية الطب وجهة كلية الكهرباء.

وفي تاريخ 19 كانون الأول 2011 خرجت وأحدة من أقوى المظاهرات في جامعة حلب، انطلقت من كلية الآداب وقطعت الطريق الرئيسي لتصل حتى حي الفرقان، كانت هذه المظاهرة بحق واحدة من المظاهرات الأكبر في الجامعة وملأ صوتها كل المناطق المحيطة.

لم تمنع الثلوج طلاب الجامعة من ثورتهم ولم يقف في وجههم أي حاجز، ففي يوم 22 كانون الثاني 2012 هطلت كميات كبيرة جدا من الثلوج، فما كان من الطلاب إلا أن جعلوا الثلج ألواحاً لهم مشابهة للوح الطبشور في المدرسة، وكتبوا عليها عبارات الحرية وهتفوا لإسقاط النظام وملأت أصواتهم كل جنبات جامعة الثورة.

أما عن أعظم يوم في تاريخ ثورة جامعة حلب فكان يوم 22 شباط 2012 عندما خرج عدد كبير جداً من الطلاب يعتصمون في ساحة الجامعة ويرفعون علم الاستقلال السوري، ثم رفعوا هذا العلم على السواري الرئيسية في الجامعة، وكسروا صورة رخامية ضخمة لحافظ الأسد وابنه باسل، ولم يوقف حماسهم إطلاق الرصاص عليهم والذي كان كما صوره بعضهم "متل زخ المطر".

وجاءت المجزرة الأخيرة في تاريخ 15 كانون الثاني 2013 في ذات الأمكنة التي خرج فيها الطلاب مطالبين بحريتهم، رافعين أعلام الثورة ومرددين للشعارات المطالبة بإسقاط الأسد ونظامه. قام في ذلك اليوم النظام بقصف جامعة حلب من طيارة الميغ بصاروخين، الأول عند "دوار العمارة" وسقط الثاني على السكن الجامعي، مخلفين وراءهما جثث ما يزيد عن الثمانين شهيداً وعشرات الجرحى ومالا يقل عن الخمسة عشرة سيارة محترقة. وعلى اعتبار أن هذا اليوم كان اليوم الأول لامتحان طلاب الجامعة، فإن الحضور من الطلاب كان كبيراً. ولتزيد بشاعة المجزرة، وحسب شهادة شهود العيان، فإن قوات الأمن السوري كانت قد أقفلت أبواب الجامعة قبيل التفجير كي لا يتمكن الطلاب من الهروب سريعاً، فهل هناك أبشع وأقسى من هذا؟

جامعة الثورة.. جامعة حلب.. لن تنسى يوماً دماء طلابها التي تناثرت بدل كتبهم وأوراقهم، لن تنسى وجوههم وأصواتهم وضحكاتهم. كما عقلونا تذكر وقلوبنا لا تغفر، كذلك جدران هذه الجامعة لن تنسى يوماً ولن تسامح الأسد ونظامه ورجاله على كل هذا القتل وهذه الوحشية، ولن تدرس الأجيال القادمة في هذه الجامعة منهاجها العلمي فقط، بل ستدرس داخل جدران جامعة الثورة معنى الحرية وأسمى معاني التضحية والكرامة.

جامعة حلب 1970

الانقلابات العسكرية في سوريا (3)

■ ياسر مرزوق

انقلاب 8 آذار 1963

في ليلة الثامن من آذار من عام 1963 حدث انقلاب عسكري بقيادة ضباط حزب البعث، أعضاء اللجنة العسكرية السرية بالتحالف مع الناصريين وبعض الضباط المستقلين، أطاح بحكومة الانفصال، ووضع السلطة بيد "المجلس الوطني لقيادة الثورة" الذي أعلن حالة الطوارئ والأحكام العرفية.

كان المجلس الوطني لقيادة الثورة هيئة مؤلفة من عشرين عضوا "12 بعثي + 8 من الناصريين والمستقلين"، وضع لها رئيس هو لؤي الأتاسي، وكلف صلاح الدين البيطار بتشكيل حكومة لتنفيذ سياسة المجلس. وكان أعضاء اللجنة التي وسعت، هم الحكام الفعليين حيث كانوا يشكلون "مجلس داخل مجلس". وشهدت الفترة اللاحقة اضطرابات عديدة، قام خلالها الضباط البعثيون بتصفية حلفائهم من الناصريين والمستقلين، والاستئثار بالسلطة، ليبدأ الصراع العنيف ضمن البعثيين أنفسهم.

ومع هذا الانقلاب الذي بدأت مرحلة جديدة من مراحل الحكم في سوريا، تختلف اختلافاً جذرياً عن المراحل السابقة، حيث قام حزب البعث وقيادته السياسية والعسكرية التي سيطرت على مقاليد الأمور، بلي عنق المجتمع السوري وتسييره على طريق البناء الثوري للمجتمع وفق نظرية حزب البعث القومية الاشتراكية، انعكس ذلك على الدساتير التي انعطفت انعطافاً حاداً عن مفهوم القانون العام الغربي، باتجاه القوانين العامة للنظم الاشتراكية. وشهدت البلاد عدة تغييرات دستورية عكست إضافة إلى نظرة البعث الإيديولوجية للمجتمع وضرورة تغييره ثوريا الخلافات الداخلية لرجال الثورة من قيادة البعث وحلفائهم والصراع العنيف على السلطة، وهدفت إلى تكريس سلطة البعث وضمان استمرارها.

الدستور المؤقت لعام 1964

وبعد سنة من الانقلاب أتى الدستور المؤقت لعام 1964، وخلال هذه الفترة شهدت خلالها البلاد اضطرابات عديدة نتيجة الصراع على السلطة. وقد أعد على عجل بعد الاضطرابات والمظاهرات التي شهدتها المدن السورية بعد أحداث حماه الدامية في نيسان 1964، حيث تم قمع تحرك الإخوان المسلمين بعنف شديد من قبل الجيش بأمر من أمين الحافظ، الذي كان يمثل واجهة حكم الضباط البعثيين. حيث قاموا بتسليمه الوظائف التالية: رئيس الوزراء وزير الدفاع وزير الداخلية نائب الحاكم العسكري رئيس الأركان بالوكالة رئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة القائد العام للجيش الأمين العام للقيادة القطرية لحزب البعث وعضو في اللجنة العسكرية، رغم ذلك يذكر حافظ الأسد أن أمين الحافظ "لم يكن يستطيع نقل جندي واحد بدون موافقتنا".

من أهم ما تضمنه دستور 1964، مبدأ قيادة الحزب الواحد وتكريس مبدأ القيادة الجماعية في الحكم، بتقسيمه إلى وظيفتين أو سلطتين:

السلطة الإدارية: يتولاها مجلس الوزراء، وصفته إدارية بحتة، ولا يملك أي مبادرة حقيقية. والسلطة السياسية: ويتولاها مجلسان، المجلس الوطني للثورة الذي يتولى السلطة التشريعية ويراقب أعمال السلطة التنفيذية.

مجلس الرئاسة: الذي ينتخب أعضاءه ورئيسه من بين أعضاء المجلس الوطني، وهو مسؤول أمامه عن جميع أوجه نشاطه، فهو يمارس السلطة التنفيذية مع مجلس الوزراء. ويضع السياسة الداخلية والخارجية. ويعين الوزراء ويقيلهم ويوجههم ويشرف على عملهم وله حق تعديل وإلغاء قراراتهم.

في بداية عام 1965 قامت السلطة بتأميم بعض الشركات، وامتدت ملكية الدولة لتشمل مجالات توليد الكهرباء، وتوزيع النفط، وحلج الأقطان، وقسم كبير من تجارة الاستيراد والتصدير، كما سيطرت على إدارة المؤسسات الدينية وأمسكت بحق تعيين أئمة المساجد.

كما شهد عام 1965 صراعاً على السلطة، بين قادة البعث التقليديين، ممثلين بالقيادة القومية، وبين القيادة القطرية التي سيطر عليها الضباط البعثيون، والتي أقرت في مؤتمرها القطري في آذار 1965 مبدأ كون الحكومة خاضعة كلياً للحزب، والأمين القطري هو حكماً رئيس الدولة، والقيادة القطرية هي التي تعين رئيس الوزراء، ورئيس الأركان العامة، وكبار القادة العسكريين. هذا الصراع الذي انتهى بقيام انقلاب شباط 1966.

ويعلق سامي الجندي على هذا الانقلاب بقوله:"لم يعرف تاريخ الشعوب والقبائل المتوحشة فوضى تحللت من كل خلق مثله، كنت أعود إلى كتيب صغير فيه مبادئ الحزب وأقارن بين الأمل والواقع، بين ما يمكن تحقيقه وما نصنع، بين ما كنا نقول وما بتنا نقول، بين وعود وعهود أعطيناها للبسطاء وسوط لوحنا به على رءوسهم وأدمينا به جلودهم فأحس بالخجل يفتت أعصابي".

ويقول الأستاذ جلال السيد البعثي القديم: "انقلاب آذار لم يكن مفاجئا بل أن رائحته كانت تزكم الأنوف.. بل إن الحديث عن الانقلاب كان يجري علانية وعلى قارعة الطريق".

وشكل صلاح البيطار وزارته الأولى وأشرك فيها الوحدويين ثم استقال الوحدويون وسقط البيطار، وشكل البيطار وزارته الثانية ولكن الوحدويين استقالوا من المجلس الوطني وقاموا بانقلاب 18 تموز، الذي سقط فيه نحوا من 170قتيلاً وخيم جو رهيب على دمشق وسجلت مشاهد الإعدام بشكل مخجل وأصبح السوريون كلهم في نظر البعث متهمين، واستقر الأمر للبعث وقامت دولة الإرهاب والفوضى في دمشق وكان مقياس نجاح الوزير هو قوائم التسريحات.

وقام الحزب بعملية عزل سياسي شملت الكثير من السياسيين ورجال الفكر في سوريا ولم يسلم حتى زملاء الانقلابين من التدبير ويقول الأستاذ جلال السيد:

"قامت المزايدات بين حكم آذار وبين عبد الناصر والمزايدات كانت تجري على حساب الشعب ومصلحته وقد اتخذت قرارات بالتأميم وأخرى بشأن الإصلاح الزراعي والتجارة الخارجية وما إلى ذلك من تصرفات كانت كلها ضربة للشعب حدت من رزقه وزادت في قلقه وجعلت كل قادر على الرحيل والهجرة يفكر في الرحيل والهجرة وزادت هذه المشاعر بالهجرة وكثرت المحاولات مع الزمن حتى يمكن القول: إن المال والعلم كليهما قد غادرا القطر السوري وهاجرا إلى حيث يجدان مناخا صالحاً لهما في أي مكان تحت الشمس وقد فرغت سورية ن هذين العنصرين تفريغاً يكاد يكون تاماً".

ويضيف البعثي القديم الأستاذ جلال السيد: "نشر جو من الإرهاب الفكري والمادي مما أذل المواطن العربي السوري ثم جعله يميل إلى استعمال النفاق تقية وتخلصا مما يهدده من مصير أسود وبدلا من أن يذهب حكم البعث إلى نفخ الإباء والأنفة في النفوس فإنه قد راح يستل ما في النفوس من بقايا لهذه الصفات التي هي ضرورة لمواجهة العدو الذي يقف على حدودنا ويتربص بنا كما فعل بعد ذلك في حزيران عام 1967".

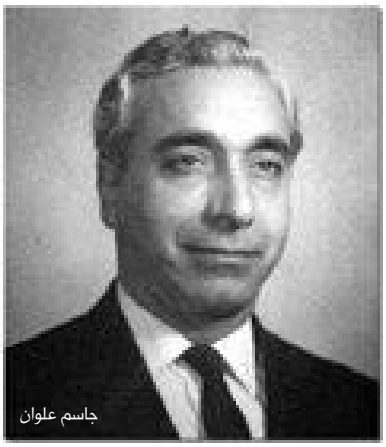
جاسم علوان

وفي مكان آخر يقول عضو البعث القديم الأستاذ جلال السيد: "وعاشت سوريا في ظلال بعض الدكتاتوريات أيضا تحت ظل الإرهاب كعهد حسني الزعيم مثلا وعهد الشيشكلي لكن كل هذه العهود لم تزد في قسوتها عن عهود البعث".

ويضيف عضو القيادة القطرية لحزب البعث السوري الدكتور سامي الجندي وزير الإعلام في أول حكومة شكلتها حركة الثامن من آذار في كتابه "كسرة خبز": ".. كنت أنذرهم أن سبل الثورة باتت خطرة على نفسها وعلي الشعب وإنها باتت ثورة بل انقلاب شرذمة أدي بها الغرور والأنانية والتمسك بالحكم إلى طغيان بوليسي لا هدف له ولا رجاء منه غير الخراب والتخريب والولوج بالدم والشرف..".

محاولة انقلاب جاسم علوان

في 18 تموز عام 1963 عندما تسلل العقيد جاسم علوان من سوريا سرًا إلى لبنان ومن لبنان قام بزيارة سرية لمصر قابل خلالها جمال عبد الناصر واضعا بين يديه خطة القيام بانقلاب عسكري في سوريا إلا أنه أكد أن نسبة نجاحها لا يتعدى 30٪ ومع ذلك طلب جمال عبد الناصر منه تنفيذها وكان عبد الناصر ينوي إعلان وحدة مصر وسوريا مرة أخرى في خطاب عيد الثورة يوم 23 تموز عام 1963 في حالة نجاحها أما في حالة الفشل فانه سيعلن انسحابه من اتفاقية الوحدة الثلاثية التي وقعها مع

كل من العراق وسوريا بعد ان أدرك عبد الناصر أن حزب البعث في كل من سوريا والعراق يحاول كسب مزيد من الوقت لإقصاء الناصريين في كلا البلدين من أية مناصب قيادية. وبالفعل فشلت تلك العملية وأعلن عبد الناصر انسحابه من الوحدة وزج بمئات الناصريين في سجن المزة بدمشق.

وتقرر إعدام ما يفوق عن عشرين ضابطاً ناصرياً بعد محاكمة صورية جرت في دقائق. فرفض لؤي الأتاسي التصديق على قرارات الإعدام واستقال نجاة بنفسه من مسؤولية الدم المراق فسارعت اللجنة العسكرية بتعيين عضوها المستجد وغير الأصيل أمين الحافظ رئيساً لمجلس الثورة وقائداً عاماً وحاكماً عرفياً بل واحتفظ برئاسة الأركان التي تولاها خلفاً للحريري المطرود قبلها بأيام.

كما عمدت اللجنة العسكرية للتفاهم مع جناح "القطريين" في حزب البعث الذين لا زال جسمهم الأكبر خارج الحزب رغم مسارعة العديد منهم للعودة له بعد 8 آذار. والثابت أن القاسم المشترك بين عسكريي اللجنة وبين مدني القطريين كان أرضية طبقية واضحة فمعظم الطرفين من الريف بل وأن نسبة كبيرة منهما من خلفية مذهبية متقاربة "الأقليات العلوية والإسماعيلية والدرزية".

من رموز القطريين كان مثل ماخوس هذا التيار في أول وزارة بعد 8 آذار وزيراً للصحة ثم لحقه زعين في كانون الثاني وزيراً للإصلاح الزراعي.

أعاد البعث السوري تنظيم نفسه بعزل البيطار من رئاسة الحكومة والتي أضيفت إلى أمين الحافظ مع احتفاظه برئاسة مجلس الثورة ومنصب القائد العام مع الحاكم العرفي. لكن ذلك التنظيم شمل ترفيع محمد عمران رئيس اللجنة العسكرية إلى رتبة اللواء مع تعيينه نائباً لرئيس الوزراء.. أي عملياً رئيس الوزراء.

عام 1964 اندلعت الاحتجاجات التي تحولت لثورة مسلحة في مدينة حماه ضد حكم البعث، وقد تجاوبت معها غالبية المحافظات السورية، وما إن أغلق ملف حماة عبر نوع من التراضي بين السلطة والمجتمع الأهلي إلا ووجدت اللجنة العسكرية نفسها مضطرة للاستعانة بقدامى البعثيين من التقليديين وعلى رأسهم المكروه لديهم صلاح البيطار ليشكل وزارة تخمد أوار العداوة المستفحلة في أوساط الشعب سواء بغالبيته الناصرية أم بأقليته المحافظة.

وقد بدأ الخلاف واضحاً بين قطبي اللجنة جديد وعمران، وقد اغتنم عمران فرصة اقتراح رئيس الأركان اللواء صلاح جديد ترفيع الرائد حافظ الأسد إلى رتبة اللواء وتعيينه قائداً لسلاح الجو مناسبة للاعتراض وبعدها تفجير الموقف. كان حافظ الأسد حينها محسوبا في الأساس على صلاح جديد وبالتالي فتسليمه قيادة سلاح الجو هو تعزيز لخصومه المحتملين. ذهب محمد عمران إلى القيادة القومية – التي هي عضو فيها – ليقول بالفم الملآن إن هناك لجنة عسكرية سرية وأنها تخطط للإطاحة بالقيادة المدنية وأنها ترمي لبناء دولتها المطرزة على مقاسها الخاص وأنه بالتالي منحاز للقيادة القومية ولا يريد إلا كشف المستور والخلاص من المنشقين عنها في الظلام. فقامت القيادة القومية للحزب حينها عام 1964 بحل القيادة القطرية الواجهة الحزبية للجنة العسكرية معتقدة أنها بذلك تحسم الصراع المكتوم والذي أوصل ميشيل عفلق في حزيران 1964 إلى الترحال إلى ألمانيا. لكن ما تمخض عن هذه المواجهة هو ثورة قواعد الحزب على القيادة القومية ونصرة لقيادتها القطرية. لم يكن في الأمر عجب إذ شهد عام 1964 بطوله انضواء كل القطريين في الحزب وتسلمهم الشعب والفروع والمنظمات والتي عبرها ملكوا الجسم وبقي فوقهم الرأس – غير الفاعل – كرمز لا تعلو مكانته عن كونه هذا الرمز.

خسر عمران رهان القيادة القومية فاضطر للذهاب إلى المطار مطروداً كسفير في إسبانيا على خطى سلفه الحريري، دخلت اللجنة العسكرية عام 1965 بقرار تأجيج يساريتها ولأهداف عدة منها المزايدة على كل من عبد الناصر وعفلق ثم البرهان على أنها لا تقل يسارية عن اليسار المفصول ومنها حاجتها لتثبيت شرعية معينة هي شرعية الطبقات المستضعفة – وفوق مفهومها - . سبق ذلك إقالة وزارة صلاح البيطار في أكتوبر 1964 وعشية اللقاء الثالث مع عبد الناصر في القاهرة. في الأول من يناير 65 اتخذت اللجنة العسكرية قرارا بتأميمات واسعة للنطاق شملت القطاعات المالية والصناعية والتجارية وسواها كان جلها – بمنطق اقتصادي محض – يتجاوز أي حاجة فعلية له لدرجة أن العديد منها سرعان ما ألغي لتبين كوميديته الفاقعة. رد تجار دمشق بإضراب واسع قمع بقسوة غير معهودة لدرجة اقتحام المسجد الأموي تعقبا لبعض المضربين والمتظاهرين.

وفي شباط 1966 قام جديد بانتزاع رئاسة الحكومة من الحافظ وتم اعتقاله وجرح أولاده ومقتل الكثيرين من عناصر حاميته، تم اعتقال عفلق والبيطار وعمران لكن صلاح جديد فضل بعد حين تيسير هروب عفلق والبيطار تهيبا من صفتيهما كمؤسسين للحزب، أكمل عفلق طريقه إلى البرازيل فيما أعلن البيطار ومعه منصور الأطرش تبرؤهما من البعث وانسحابهما منه في بيان إصداره من بيروت. وقبع الحافظ وعمران في السجن لحين الإفراج عن المعتقلين السياسيين يوم 9 يونيو 67 في جو الهزيمة الفادحة.

وكان المكلف بإلقاء القبض على الحافظ المقدم سليم حاطوم، والذي بعد أن أدى دوره المطلوب وبدمويةٍ ملحوظة واجه تنكر جديد له مجسداً في عدم إعادة انتخابه عضواً في القيادة القطرية المؤقتة التي انتخبها مؤتمر قطري استثنائي جديد عقد في مارس 66 بعد نجاح الانقلاب. والثابت أن تلك كانت لطمة شكلت نقطة تحول في موقف حاطوم مما جرى ويجري.

صلاح جديد

بدأ حاطوم في تكتيل مؤيدين حوله وبالأخص من الضباط الدروز ومن أهمهم العقيد طلال أبو عسلي عضو اللجنة العسكرية وقائد الجبهة. في ذات الحين كان منيف الرزاز الأمين القومي "المقال" متخفياً في دمشق ناسجاً خيوطاً كثيرة مع ضباط بعثيين يدينون بالولاء للقيادة القومية وعلى رأسهم اللواء فهد الشاعر ومعه شريف سعود وعلي سلطان ومجلي العقيد وإسماعيل هلال وعلي الضماد وحسين زيدان وشريف الشاقي وعبده الديري. اشترط الشاعر على الرزاز ألا يضم التنظيم العسكري السري أي ضابط علوي وذلك لضرورات أمن التنظيم. ورغم أن الرزاز وافق على الشرط إلا أنه حافظ على خيط اتصال مع أحد ضباط انقلاب شباط هو المقدم علي مصطفى القريب الصلة بحافظ الأسد. وراهن الرزاز على استجلاب الأسد شيئا فشيئاً إلى تنظيمه ليكون حصان طروادة من داخل النظام الانقلابي. والثابت أن محاولة الرزاز لم تفلح كثيرا رغم أن أسد لم يوصد الباب أمام الاتصال غير المباشر خصوصا وأن تنظيم الشاعر الموالي للرزاز انهار كخيوط العنكبوت في أغسطس 66 عبر خيانة أحد أعضائه إسماعيل هلال وتبليغه عبد الكريم الجندي مدير المخابرات العامة – الجهاز المستحدث حينها – عن الترتيبات السرية للتنظيم. عرف حاطوم بتنظيم الشاعر بعد فترة من نشوئه وقام بالاتصال بالأخير عارضا التعاون بين التنظيمين وطي صفحة الماضي – القريب – والائتلاف للإطاحة بجديد ونظامه الوليد. وافق الرزاز على التعاون لكن وشاية هلال وتساقط تنظيم الشاعر أربكا حاطوم بشدة لشعوره بأنه انكشف أمام جديد متواطئا ومتآمرا. لهذا السبب وجدناه يسارع في 8 أيلول لتفجير الموقف عبر اعتقال نور الدين الأتاسي وصلاح جديد وإبراهيم العلي أثناء زيارتهم للسويداء لبحث الموقف الحزبي هناك إثر تمرد الفرع على القيادة مطالبا بعودة "المنشقين" - وغالبيتهم دروز - لصفوف الحزب مدفوعين من حاطوم ومؤيدين. هنا قام حافظ الأسد الذي ومن موقعه في الأركان اتصل بحاطوم وهدده بضربه جوا وبرا "اللواء 70 المدرع" إن لم يطلق سراح أسراه على الفور وهو ما فعله وفر على أثره إلى الأردن.

بدأ التصادم بينه وبين حافظ الأسد قبل حرب حزيران 1967، وظهر الصراع جليا بينه وبين الأسد في المؤتمر القطري الرابع عام 1968. فيما تكتل الاتحاد الاشتراكي العربي مع الاشتراكيين العرب وحركة القوميين العرب والبعث العراقي في جبهة معارضة لحكم صلاح جديد. وفي فترة القلاقل في الأردن في بداية السبعينات، تدخلت القوات البرية السورية في الأردن بأمر من صلاح جديد، لكنها تعرضت لهجمات الطيران الأردني والإسرائيلي فطلب صلاح جديد من حافظ الأسد إرسال مساندة جوية لكن الأخير رفض وبالنتيجة فشلت العملية، فدعا صلاح جديد إلى مؤتمر طارئ للقيادة القومية في 30 تشرين الأول لمحاسبة وزير الدفاع حافظ الأسد، ولكن الأسد وفي 16 تشرين الثاني 1970 قام بما يسمى الحركة "التصحيحية"، واعتقل صلاح جديد وكافة القيادات البعثية المناوئة له.

تم سجنه في سجن المزة حوالي ثلاث وعشرون سنة، وتوفي في السجن في 19 آب 1993 بطريقة غامضة.

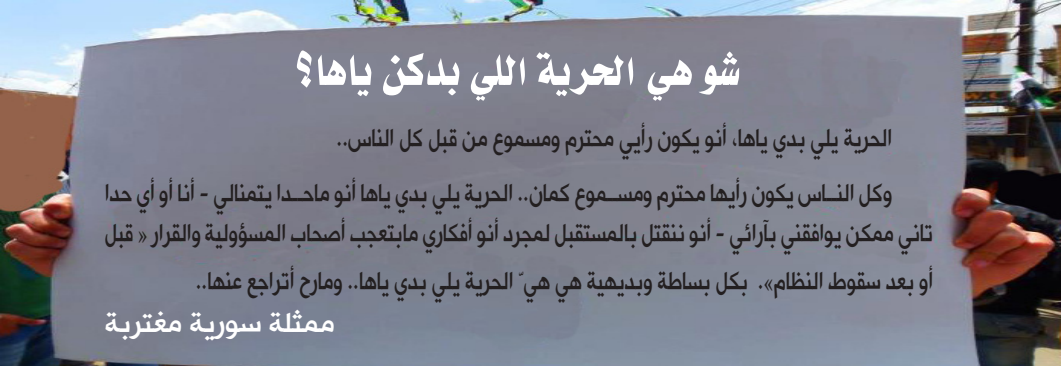

جيفارا عيسى

علينا أن نضمد الجراح.. عضيت على جرحي الفلسطيني.. بكيت للحاصل في اليرموك.. لكن قلت لنفسي: الثورة فوق كل شيء.. المطالب التي من اجلها ثار الشعب السوري فوق أي اعتبار ومصلحة.. آلمني الدم الفلسطيني النازف في مخيمات الشتات.. لكنه ليس بأغلى من الدم السوري.. فكل من على هذه الأرض.. أي كان دينه أو قوميته مطالب بأن يعض على جرحه إلى أن نحقق الهدف الأكبر.. وهذا لا يعني عدم النقد ومحاسبة الأخطاء أن وجد، ولكل آن أوان.. علينا أن لا ننسى بأن الثورة فوق الجميع.. هذا ليس شعار إنما حقيقة وإلا فعلى الدنيا السلام!..

إياد عيسى

إلى العلويين الذين نحب.. هاهي سوريا التي تحبكم.. وتلك سوريا الأسد التي تكرهكم وتكرهون.. في هذه اللحظة لكم دينا، ولآل الأسد دين.

هيا الحاج أحمد

الثورة السورية يجب أن تسمى بثورة الأرواح لأن شهدانا ما زالوا يدافعون ويتحملون معنا طالما اتحدت أرواحهم بأرواحنا وسكنوا قلوبنا والروح والقلب أصل الثورة ومنهجها..!

ياسين عبد اللطيف

ليس في التاريخ نظام مسوخ كنظام الصغير بشار الأسد كأنه قد خرج علينا من "مملكة الظلام مع قطعان النازغول المرعبة" التي تذبحُ شعباً وتهدم الدولة!..

محمد العبد الله

شركاء الجريمة.. أولئك الذين يتفرجون على داريا تذبح وحيدة.. لا دعم ولا سلاح ولا متطوعين ولا هم يحزنون.. يا ريت تعرفونا على أهاليكم.. لنشملهم لعنات الروح اليومية التي نطلقها ضد القاتل!! شركاء الجريمة شركاء أيضاً في اللعنة!!..

محمد حسين

أن تكون فلسطينيا فأنت سوري بالفطرة.. فالظلم جين جامع..

حسام عيتاني

في الثمانينات كانت الفكرة الرائجة أن الطائفة أحد تمظهرات (العفو منكم) الصراع الطبقي وان من واجبنا (نعم، نحن بكل تواضع) الفصل بين جماهير الطوائف المضللة وبين قياداتها البرجوازية التي تستغل البسطاء من أبناء شعبنا الطيب. مع الربيع العربي اكتشفنا أن الطائفية مكون جوهري من مكونات شعبنا (غير الطيب) وأننا عندما نساند الثورات إنما نساند العصابات الظلامية الدينية وان الأنظمة الوطنية، ربما (فقط ربما) قد تكون وحشية وبموية لكن مواجهتها للامبريالية تبرر لنا تأييدها في مواجهة الظلاميين التكفيريين.. وبوجهكم المسك.

فرج بيرقدار

سريه كانيه ليست تركية ولا إيرانية ولا بي كي كي.. سري كانيه سورية.. وعلى من يدعون أنهم مع الثورة السورية أن يشرّفوا إلى حمص أو داريا أو المعضمية أو أي مكان..

حسان المأغوط

نعم إنها صواريخ لمن لا يصدق وليست مجسمات.. يا أشباه البشر أين أنتم يا حيوانات. تعجز الكلمات عن وصف أصحاب اللون الرمادي (بلا انتماء) متابعي المسلسلات التركية وبرامج العهر العربي أين أنتم، هل تشاهدون الحلقة 1234 من كاسندرا أو نور التركي.. يلعن أشرفكن مين ما كنتم..

وليد دروبي

أتفهم أن يضحّي الإنسان بنفسه من أجل حريته وحرية الآخرين.. ولكن أشفق على من يضحّي بنفسه من أجل طاغية يعامله كعبد وككلب حراسه..!

روشان قاسم

اتركوا علم الثورة بحاله.. كفاه ما ألم به، ما يقارب العامين من راحة الدم تلفه وما من مستجيب المجتمع الدولي في ثبات والدول الإقليمية تلعب بذيلها وتضرب ذات اليمين وذات الشمال، تشتري من تشاء وتبيع من بات عاق وترمي في القمامة من انتهت صلاحيته، إياكم وعلم الثورة لا تعبثوا بألوانه وطوله وعرضه، لا نريد لا الهلال ولا الأسماء ولا آيات تحت هذا العلم كسر السوريون حاجز الخوف وتمنوا الكرامة وتحت هذا العلم ارتفعت الأصوات تنادي بموت الدكتاتور، تحت هذا العلم كانت الوجوه سمحاء لا لحى ولا سراويل قصيرة ولا دشداشات، تحت هذا العلم كان السوري فقط عربي كوردي سني علوي درزي مسيحي مسلم، صاحب الحق في رفعه، اسحبوا تلك الأيادي مهما تكن.. لا نريد أعلام سوداء، إنه غريب عن الثوب السوري لا يليق برقيه ولا يليق بالفسيفساء ولا يليق بنبض الحياة، إن ثورتنا كانت لنحيا لا لنموت.. لا لنحلل ونكفر، إياكم لمس قدسية الثورة.

فارس الحلو

البطل محمد الحوراني أجبر قناة الجزيرة أن تصفه بالشهيد!!.. عشرات الآلاف من الشهداء صنفتهم الجزيرة والعربية وكل القنوات الإعلامية بالقتلى لا أكثر!!.. "محمد الحوراني هو نفسه محمد المسالمة"..

كوليت بهنا

سفر الخروج: هذا وقد خرجت بين عامي 2011 و2013 موجات نزوح سورية لم يعرف مثلها التاريخ. بعضهم خرج يحمل أطفاله وقطعاً من جدران بيته.. وبعضهم خرج يحمل خوفه وأوجاعه.. والكثير الكثير خرجوا يحملون حلم الوطن..
في دول الشتات.. قضى بعضهم برداً أو جوعاً أو وجعاً.. وقضى بعضهم الآخر قهراً أو تشرداً أو تشرذماً.. والكثير الكثير ما ماتوا.. لكنهم ظلوا أحياء يأكلهم الحنين والحزن تحسب الواحد منهم خيال ظل تلعب به ريح الغربة المريرة..
سفر العودة: ننتظركم.. مع حلم وطن.

كفاح علي ديب

أكبر خطأ نرتكبه بحق الثورة.. هو برود همتنا أحيانا بالمطالبة بالمعتقلين، كلما خرج معتقل يروي لنا عن فظاعة ما يحدث في السجون وعن أعداد المعتقلين الذين يقضون تحت التعذيب، أرواح أولائك في أعناقنا.. الحرية للمعتقلين كل المعتقلين.. ما منكل ولا منمل بدنا ياهون بدنا الكل..

منهل باريش

لم يعرف التاريخ أفشل من هكذا قادة سياسيين لثورة، كانت ثورة فحولتموها حرباً، لا أستثني منكم أحداً.

وسيم الجزايرلي

في سوريا ولد.. شيخ الإسلام بن تيمية.. ومات فيها شيخ الصوفية محي الدين بن عربي سوريا كانت هي مصدر السلفية والصوفية كانت هي طريق القديس بولس ومدفن يوحنا المعمدان عاش فيها بنو معروف والعلويون والسنة 1400 سنة.. وسوف يعيشون هكذا إلى آخر الزمان..

هالا نجاري

واقفة على زاوية الطريق وعم تتطلع بوجوه الكل وهنن عم يركضوا من مكان لمكان ومو عارفين شو يعملوا وكل واحد منن بيصرخ إسعاف إسعاف وصوت ولاد صغار عم يبكوا ورجال كبير عم يقلن وينو نزل الصبح وينو وهبه لسا عم تتطلع فيهم.. قرب عليها شب وقلها شبك يا حجة؟ لازمك شي؟ قالتلو: عجب بيكون قدم منيح؟ ابني، الله يرضى عليك ايمت بتطلع النتيجة؟ بدي قلو أنو نجح المادة لأنو مانام امبارح وبوس ايدي وقلي دعيلي وسكر الباب.. وأنا دعيلتو والله يا ابني والله.. سكر الباب وراح.. أم الشهيد.. كلنا ولادك..

الأبد ولا لحظة

وأنا أيضا ابن شهيد لازال إلى اليوم شاهدا على موته.

ففي سنة 1967 كان أبي جنديا على الجبهة يحتفل مع أصحابه بمولوده البكر بعدما أن وصلته رسالة تخبره بأنه رزق بطفل ذكر واسمه يوسف. كان أبي في حينها في فريق المدفعية الذاهب لتحرير فلسطين (هكذا قيل لهم).

استفاق أبي في صباح المواجهة ليجد أن اغلب الضباط قد هربوا قبل إعلان بدء الحرب. خاض أبي وصحبه يومها حربا لم يكونوا مهيئين لها. قتل كل من كان على المدفعية وكل من كان بجوارها بقذيفة طائرة واحدة. وحين تراجع جيشنا الوطني المقدام مدحورا ذهب جدي يفتش عن ابنه فقيل له: كلهن ماتوا ما ضل منهن واحد يوحد ربه.

لازم جدي فراشه أشهرا مرضا حزنا ومرارة وثابرت جدتي على زيارة المقبرة رغم انه ما من قبر لأبي. وحين عاد أبي فجأة من مشفى في الأردن بعدما ضمدت جراحه نظر أهالي القرية لعودته حيا وكأنها خيانة لموته البطولي فلم يسموا مدرسة باسمه ولا شارعا ولا حيا. ضمته جدتي في عرس بكائي كمن يقول له: أن تكون شهيدا حيا خير ألف مرة من أن تكون شهيدا ميتا.

وتطوع أبي بعدها في الشرطة ليصبح متنقلا سنديانا من مدينة إلى أخرى. وانتقاما من نكسة حزيران التحريرية خلف أبي دزينة أطفال عفاريت كنت أنا واحدا منهم. وحدها أمي من عانى من تحولها الريفي إلى المدنية. فكل محاولات جاراتها الحموات بان تستبدل، في أحاديث المخاطبة، اسم أبي محمد بلقبه أبو يوسف باءت بالفشل. ولم تكن جاراتها في الرقة أكثر حظا رغم نجاحهن بان جعلن أمي تحفظ غيبا صيغة الخطاب المدني التوقيري فكانت هكذا تردد تبجيلها لرب البيت أبي أمام الضيوف: يا محمد، قصدي يا أبو يوسف.

ولم يكن التخاطب بالاسم إلا انتزاعا للندية في علاقة الزوجة بزوجها وفي تعايشهما المشترك. والندية إذا ما فقدت مرة قد لا تعود أبدا، هذا ربما ما جعل أمي تفتعل شجارات تؤكد من خلالها على نديتها. فكانا أحيانا يتشاجران حتى على فنجان القهوة أو على كأس الشاي: إذا ما عاجبتك قهوتي روح عمال لحالك. وفي لعبة الزعل والتراضي كان ذكر الأسماء خطابا احتجاجيا تكسر فيه أمي كأريزما الربوبية البيتية: يا أنا يا أنت، يا محمد ابن العليا، والله والله ماني قاعدتلك في البيت ولا لحظة، هكذا كانت أمي تردد اسم أبي في خطابها الثوري التوعدي.

لم تكن تفارق البيت ولا حتى جاوزت هي عتبته، بل كل ما في الأمر كانت تنسف في خطاب التزاعل أبدية التسلط لرب الأسرة. كم كانت تردد أمي كلمة (ولا لحظة)! وكم شبيهة اليوم لغة احتجاجها بثورة الشارع السوري المتهكم على خطاب الأبدية السلطوية بالقول: يا جماعة طيب مثل ما بدكم إلى الأبد إلى الأبد، بس ولا دقيقة زيادة! ولم يكن أبي حقيقة سلطويا في محنة اعتقاله الزواجي ولكن المرء لا يولد سلطويا بل يصبح كذلك حين يتنازل الآخرين عن نديتهم وربما هذا ما جعل أمي تحرص أبدا على ترديد كلمة: ولا لحظة.

لم تتغير أمي الريفية الجبلية في نديتها ففي أخر اتصال لي بها، حينما كانت أدوات التواصل لازالت قائمة، أجابت على سؤال القائل: يامو مين في البيت، بالقول: ما في غير محمد. محمد مين؟ هكذا عقبت أنا، محمد أبوك ولك مسطول، هكذا عقبت هي.

أحمد يوسف

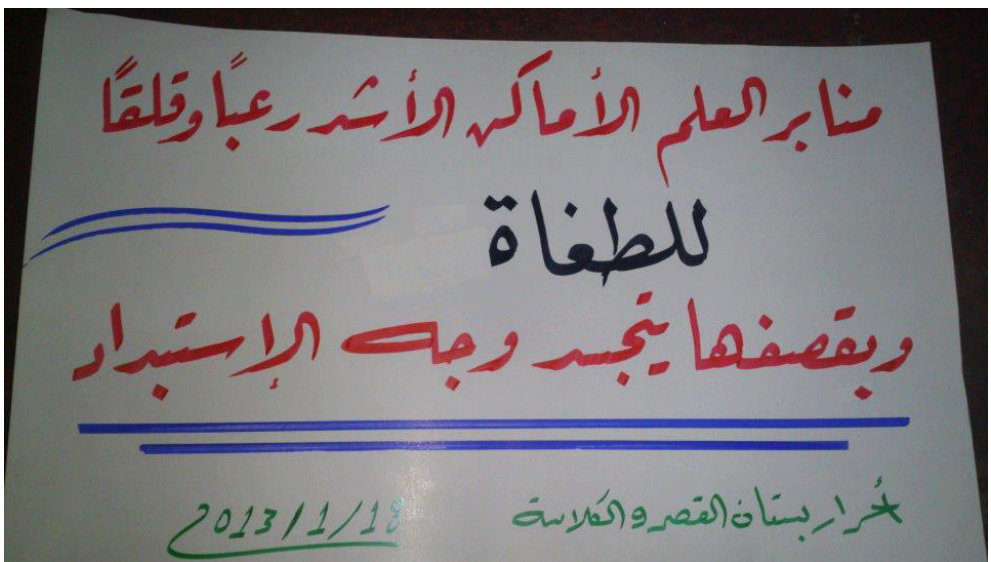

صبارة سوريتنا

صبارتنا حيث لا أحد فوق النقد..
باب ناقد ساخر يتناول مواضيع سوريتنا.. مجتمعنا وثورتنا..

دكتاتورية

- الديكتاتورية لا تُسقطها ديكتاتورية أُخرى، والكذب لا يواجه بكذب. الحقيقي يُسقط المزيّف. اللّه وكيلك.
- الدكتاتورية وحدة وإن تغير اسمها بين أسدية وإسلامية وغيرها.
- واحد بيسب ع اللّه وبيقتلنا.. وواحد بيتوكّل عليه وبيقتلنا.

قصة حب: كنت مواعدها لحبيبتي بعد امتحانها.

ما لحقت شوفها بالجامعة، تأخرت شوي، علقت بعجقة السير. نزلت قلت بكمل مشي أو ركض، المهم ما أتأخر عليها، إلي زمان مو شايفها لأنو كان في كتير حواجز أمن ومعارك بيني وبينها.

نزلت وركضت.. وركضت وركضت وركضت بدي لحق شوفها، اشتقتلها. بس ما قدرت.. فجأة شفت شي عم يلمع بالسما، وبعدين صوت بوووووووم وبعدين صارت عتمة.

بعد شوي اكتشفت إني متت وإنّو سموني شهيد وحطو صوري عالفيسبوك وأمي صارت تبكي وتبعتلي رسالة ونشروها رفقاتي على صفحاتون.

حبيبتي غابت عن الوعي شوي وبعدين قامت ولهلئ عم تبكي.

بس ما حدا منون فكر إنّو أنا مشتاق لحبيبتي، وبدي شوفها وبدي ضمها وبدي بوسها وشمها. ما كان بدي موت، كان بدي عيش مشانها.

حبيبتي آسف لأني متت.

مصارحات: الصراحة بتجرح لكنّها بتفيد..

- فيني ساوي موضوع تعبير عن النصر والأمل والمستقبل المشرق وهالكليشات هي..

بس بصراحة الظاهر إنّو الأمور عم تزيد تعقيد وتأزم والصراع بعدة مناطق ما عاد إلو علاقة مباشرة بالثورة والنظام إنّما تحوّل لصراع مبني على عصبيات طائفية وعرقية.

إذا الشغلة مطالب ثورة وسلطة مستبدة فبسقوط السلطة رح تنحل المشاكل، الحجر بيرجع بيتعمّر، الحقوق بتعود لصحابها، والنفوس بتهدا، بس لما الموضوع يصير صراعات على أساس الطائفة والعرق والقومية فمثل هي الصراعات لا يمكن أن تنحسم وبتضلها عشرات السنين وبتكوون غالباً مؤشر على موت الأمم واندثارها.

ليك عمو «سري كانيه» مدينة سورية والكرد جزء من سوريا عجبك ولا ما عجبك. وجبهة النصرة هني الغرباء عنّا وهني اللي عم يجيبوا الاحتلال عبلدنا وهني المتطرفين المرضى، وسخات وعلقات الثورة.

والأتراك إذا مفكرين حالون بيقدروا يحاربوا الكُرد بسوريا بيكونوا غلطانين لأنّو لما بيجد الجد حيدافعوا العرب عن الكرد قبل ما يفكروا هني يدافعوا عن حالون.

فهمت عمو أردوغان، فهمتي أختي جبهة النصرة.

برعاية التيار الصهيوصليبي العلماني الليبرالي اليساري الماسوني الغربي السوري | بقلم آدمن مّا إلو اسم

المحشش السوري الالكتروني

مشهد من حكاية سورية من بطولة رجل، وإن كان حلبي فهو نموذج السوري في لوحة دم سوريالية:

سوري دماؤه المهدورة تشعل الأرض كرامة.. تتلعثم كلماته بأنفاسه الأخيرة ويقول:«كرمال اللّه بس خليني ودع ولادي»..

يأتي رد الحذاء العسكري المدنس:

«بخليك تشوفهم بس بتخليني *** مرتك»..

يصمت السوري لوهلة، ربما يعيد شريط ذكرياته، ربما يستحضر عقيدته، مشاعره، نخوته، عنفوانه لينطق الرد الأسطوري الممزوج بالدم: «أعوذ باللّه أنا مرتي روحي.. أنا ولادي روحي»..

غير أن ذاك السوري يحمل إيماناً بأن الوجدان والشفقة لاتزول من النفوس لذا يعيد سؤاله طامعاً ببقايا إنسانية قد تكون مترسبة في ذاك الحذاء:

«كرمال اللّه ياشباب بس أودع ولادي»..

يكرر الحذاء العسكري المدنس مقايضته أيضاً ليثبت أنه حذاء مدنس بالعار وحسب:

«بتخليني *** مرتك»..

يُجيب السوري بصوت الأرض المحتضرة: «مرتي بنت عمي مرتي تاج راسي»..

يستغرب ذاك الحذاء العسكري المدنس ويقول: «اش هالحيوانات هدول»..

يُسدل الستار على تلك الحكاية المألوفة بطلقة عبثية تودي بحياة السوري اشتهاها حذاء آخر.. وتبقى الكرامة السورية خالدة.

لا تشلشنا مشلوشين

- 1 -

الناس مدري شو صايرلها، او أنا مدري شو صايرلي، أو الدنيا مدري شو صايرلها.. النتيجة: في شي صاير.. مدري شو هو.. إذا كنت «اتهامي» نقي «الناس مدري شو صايرلها».. إذا كنت «انهزامي» نقي «أنا مدري شو صايرلي».. إذا كنت «جبان» نقي «الدنيا مدري شو صايرلها».. إذا كنت مشلوش. اطلاع وقف برا بهالبرد.. علي صوت الغنية يلي عبالك تسمعها.. شغل سيجارة.. واصفون.. اصفون وبعدين طلاع بنتيجة.. إي وشو فيها.. يصير..

- 2 -

إلى كل من يهمه الأمر، الشعب السوري تعب، جزء منه تشرد وجزء نزح وجزء انقتل وجزء عاطل عن العمل وجزء هاجر وجزء هرب وكل الشعب السوري تعب.

ملاحظة: الكلام ليس موجه لا للنظام ولا للمعارضة ولا للأحزاب والقوى السياسية المحلية والإقليمية ولا للأعضاء الدائمين بمجلس الأمن ولا للدول الإقليمية الصديقة وغير الصديقة ولا للشعوب القريبة والبعيدة..

انا قلت ببداية كلامي.. «إلى من يهمه الأمر».. وهدول السابقين كلهن ما بيهمن الأمر.. طيب مين بيهمه الأمر لكان..؟؟ ما حدا بيهمه أمر الشعب السوري، إلا الشعب السوري.. فتحو عيونكن وأذانكن.. إذا الشعب ما عمل شي.. ما حدا سائل علينا لنعمل شي.. شلشناها عليكن

- 3 -

- و اللّه يا أخي احترق محلي بحومص..
- له يا أخي و اللّه زعلتني و انشالهع ما في خسائر كتير؟ - لا ربك حميد عامل حسم 70٪.

اللّه محيي الحماصني لك عمي

- 4 -

خبر غير عاجل:

قراصنة صوماليون يقومون بالإفراج عن 3 بحّارة سوريين من دون طلب فدية و ذلك تعبيراً عن تعاطفهم مع البحارة نظراً للظروف التي تمر بها بلادهم..

هاد الخبر لكل سوري اعتقل و خطف سوري..

مو معقول يكون «القرصان» الصومالي أرحم من السوري عالسوري..

هُنا دِمَشق

■ سيامند حسين

(يوميات ومشاهدات) 10 كانون الثاني 2013

- 1 -

«تلج.. عم تتلج السما!» صاح عامر وأخته الصغيرة غالية وهما يقتحمان خيمة الجيران قاصدَين صديقهما خالد، فوجدوه جالساً يتناول العشاء مع والديه وإخوته الكبار. كان أفراد العائلة الستّة ملتمّين على الأرض حول صينيّة كبيرة تحت المصباح الوحيد المعلّق. نهض خالد، ذو التسعة أعوام، على الفور مبتهجاً وملعقته في يده وقد امتلأ فمه بلقمة من البرغل غصّته عندما حاول أن يقول شيئاً؛ لكن أمّه صاحت به وأمرته أن يُنهيَ صحنه أولاً. في تلك الأثناء كان الأب قد توقّف عن الأكل أيضاً، وبقي صامتاً. لا بدّ أنه كان يتخيّل حجم المعاناة التي تحملها إليهم ذُرفُ الثلج، على دفعاتٍ صغيرةٍ، مهاجرةً من السماء إلى سطوح خيامهم المنصوبة في العراء المطلّ على الحدود. دقائق وضجّت الخيمة بتحركات الأولاد وبمحادثات الكبار التي تداخلت فيما بينها مشوّشةً الكلام، في حين ظلّ الأب سارحاً في أشياء لا تعنيهم، إلى أن رنّ صوت زوجته الحاد في سمعه، قادماً من وراء الخيمة، تتكلّم بالهاتف مع أختها اللاجئة في مخيم الزعتري: «لا أصدق.. عندكم أيضاً؟ لا.. ماذا؟ في دوميز وسهل البقاع أيضاً!». نهض وهو يُتمتم: ها هي الجهات الأربع تعدل، والمصادفات تجرّ الأقدار. ثم اندسّ في فراشه لينام مبكراً على غير عادته.

تسأل غالية أمها عمّا إذا كانت البندورة التي زرعتها في باحة بيتهم في معرة النعمان ستحتمل الصقيع؛ ويُخبر عامر صديقه أنّ جده كان يقول إنّ الثلج يقسو كثيراً على الحديد، ويضيفُ بعدها بحزنٍ إنه يعتقد الآن أنّ دراجته الجديدة، التي تركها مسنودةً على حائط البيت عندما نزحوا، قد صدأت. كان الأطفال يدخلون ويخرجون، وقد التحق بهم أصدقاء آخرون، ويتناقلون أخبار الثلج في الداخل، في قراهم ومدنهم التي ما زالوا يردّدون أسمائها بحنين طفوليّ، ويترقبون الصباح الذي سيحزمون فيه الأمتعة مع عوائلهم، ثم واقفين على باب المخيم سينتظرون الحافلة ليغادروه للمرة الأخيرة إليها.

كانت قُرابة السادسة صباحاً عندما استيقظ الأب. خرج متجهاً إلى السياج الواقع شرق المخيّم، كانت ساقاه تنغرسان في الثلج حتى منتصفهما. أثناء عبوره سألكاً الطريق الأقصر، كان سعال مخنوقٌ يشتعل تحت الملاءات السمكية في خيمة أمامه، ويخمدُ في أخرى على يساره في الصف الثاني أو الثالث ربمّا، وهكذا.. جارفاً معه صمت النائمين. ذكّره ذلك بصرير الزّيز في ليالي الصيف تتناوب في أدوار مبعثرة، لا يغلبها النعاس. في خيمةٍ مضاءة كان نشيجُ امرأةٍ يهرب خفيضاً إلى الخارج وكأنه يستجدي عزاء إحدى الجارات. من الخيمة الأخيرة على الزاوية كانت تُسمعُ طرقات ملعقة الشاي الصغيرة على حواف الكؤوس الزجاجية، وتفوحُ رائحة شهيّة لبيض مقليّ لتوّه. بلغ السياج وجلس مُقرفصاً، ثم أشعل سيجارة. كان ينظر صوب المخيم. شيئاً فشيئاً تسربت ابتسامة من عينيه وحطّت خفيفةً على الخيام المَوطوءة بالثلج، وقد بدت من بعيدٍ تحت ضوء الفجر المنسكب عليها، كخلايا نحلٍ بيضاء.

- 2 -

ليلتها كتبت سعاد على صفحتها في الفيسبوك: «رغم كل شيء، شعرتُ بأن الناس ارتاحوا قليلاً عقب رؤية هذا البياض. إنهم بالفعل يحتاجون لفرصة، لاستراحة. لم يعودوا يحتملون أكثر. أمسى هطول الثلج دافئاً كتعبنا!».

في السادسة صباحاً تُغافلُ أمّها المستيقظة قبلها، وتملأ زجاجة من الماء الذي بدأ بالغليان في وعاء وضعته أمها على سخان الكهرباء باكراً، تنزل الشارع، تُريقُ الماء على زجاج السيارة كما يفعل والدها، فيذوب عنه الثلج المتراكم ويلتمعُ سطحه. محاولةً، اثنتان، ثلاثة ويُقلع المحرك. تنطلق السيارة متقطّعةً لكنها تستمرّ أخيراً. تجوبُ سعاد شوارع الحيّ بتمهّل حيث الهدوء النسبيّ يُداري شجاعتها؛ تنعطف يميناً، ويساراً، تتأمل آثار أقدام وحيدة على الرصيف الأملس الطويل؛ وتفكرّ: «ما زلت في دمشق، وهي بيضاء الآن». حاجزٌ خلى إلا من عساكرَ يفشلون في صنع رجل ثلج، بينما تصبّ قهقهاتهم عميقاً في مداخل البنايات المجاورة. أحدهم يُدوّرُ كرةً من الثلج ويقذفها بأقصى ما يستطيع. تطير الكرة عالياً في مسار مُقوّس؛ تعلو ذروة التّلّ وتختفي؛ تستمرّ؛ تمرّ فوق سلك الكهرباء الذي تجمّعت على طوله قطرات كبيرة من الماء، ولا تُصيبُ الدُّوريّ الوحيد الواقف عليه، لكنها تُخيفه فينتفضُ محلّقاً؛ تنخفضُ وتقترب من السقوط وقد ازداد تسارعها كثيراً، (عندما كنّا صغاراً اعتدنا أن نحشو كرات الثلج بالحجارة لتصبح ثقيلة وتصل مسافات بعيدة أو تفجّ رأس واحد من خصومنا).

تدوسُ سعاد الفرامل بقوة فتقف سيارة الرنج كصخرة مُصمتة وتنطفئ. لقد ارتطمت الكرةُ بالزجاج الأماميّ وانفرطتْ متشظيّة. تُطلق نفساً عميقاً. تمدّ رأسها من الشباك باتجاه الجندي وهي تشدُّ ضحكتها إلى وجهه، وقد علقت قطرة دمع صغيرة تحت جفنها الرقيق. تُدير المحرك من جديد وتغادر.

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (41697)

دمشق: 2734
ريف دمشق: 8988
حمص: 7561
درعا: 3749
إدلب: 5529
حلب: 5294
دير الزور: 3010
الرقة: 288
السويداء: 34
حماة: 3387
اللاذقية: 679
طرطوس: 59
الحسكة: 216
القنيطرة: 116

3047 عدد الأطفال الذكور
1337 عدد الأطفال الإناث
2793 عدد الإناث
7623 عدد العسكريين
34074 عدد المدنيين

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 19 / 1 / 2013
http://vdc-sy.org